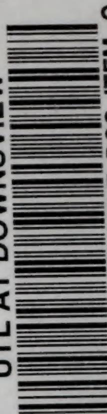
زاده

المأمون وشبلير



Sa'id, Murad
al-Ma'mun wa-Shambulyun

المأمون وتتمبليون

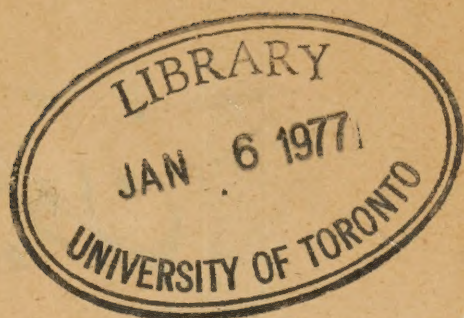
الرسالة الاولى

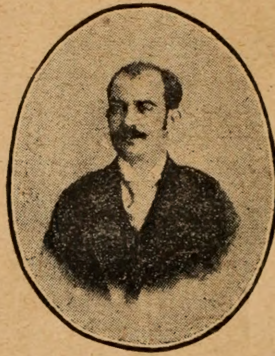
تأليف

مراد سعيد زاده

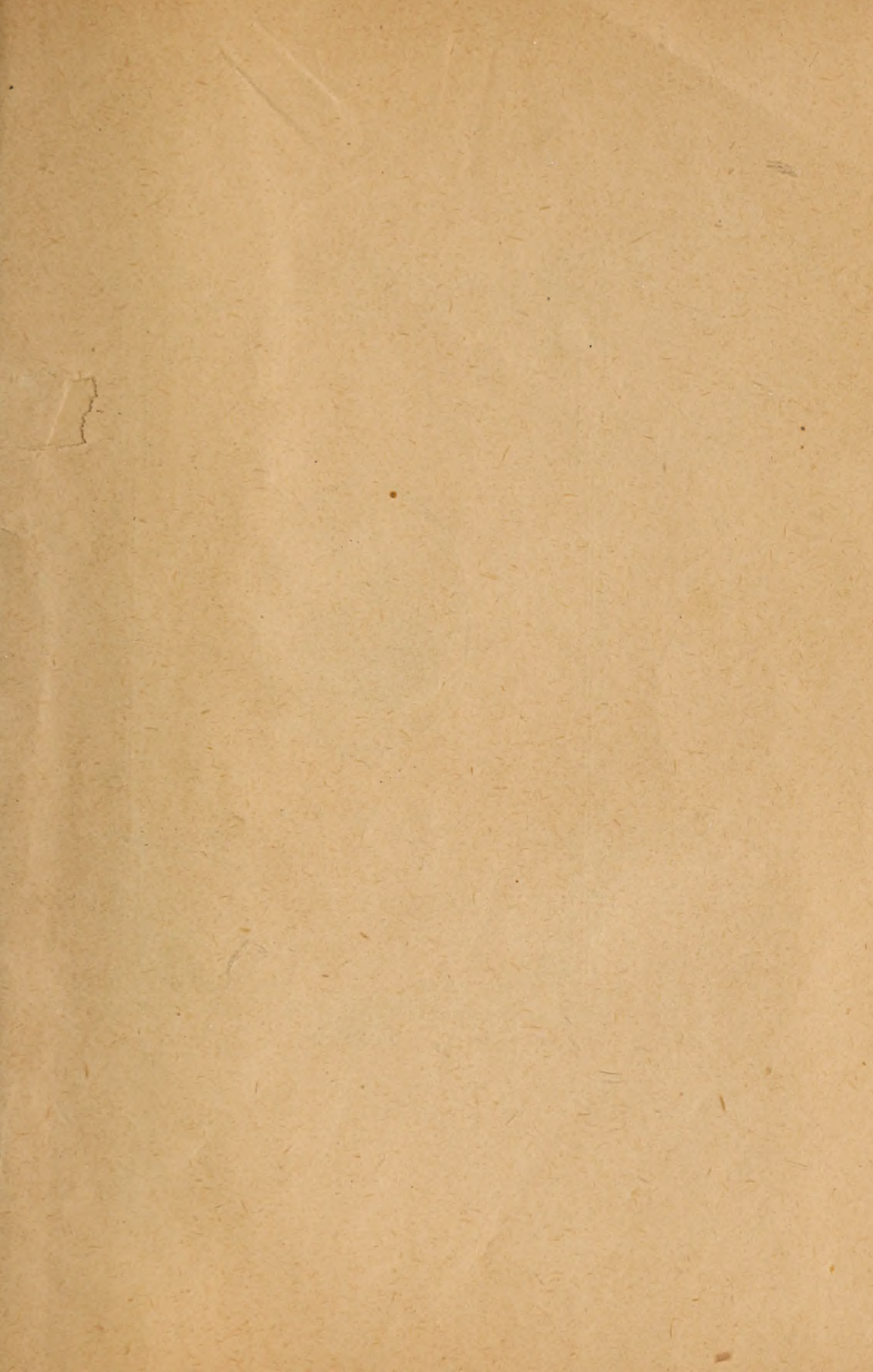
مطبعة الترقي بشارع عبد العزيز بمصر

١٣١٩ هـ — ١٩٠١ م


LIBRARY
JAN 6 1977
UNIVERSITY OF TORONTO



مراد سعيد زاده



بسم الله الرحمن الرحيم

أستعين بالله الرؤف الكريم من شر كل شيطان رجيم

وبعـد فيقول العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير الراجى عفو الحميد المجيد مراد سعيد :

ان قطر مصر كان اسمه الاوّل باللغة السريانية بابْلون بموحدتين بينهما ألفٌ وآخره نون على وزن دَارْفور وكانت اللغة السريانية هى المستعملة بين أبينا آدم عليه السـلام وبين أولاده حتى ظهر سيدنا ادريس عليه السلام واعطاه الله النبوة والحكمة وصار ملـكاً على هذا القطر فخصه الله بلغة غير السريانية ووضع لها حروفاً هجائية فـكان اول من خط بالقلم من بني آدم كما اجمع على ذلك كافة المؤرخين ووردت به السنَّة السنية

ولما بلغ من العلوم العقلية والنقلية مبلغاً لم يبلغه احد لقب بلفظة (هرمس) وهى فى اللغة الادريسية كلمة نخيمة جداً يلقب بها اعلم اهل زمانه بكافة العلوم نظير لفظة حبر فى لسان العامة ولفظة علامـة فى لسان العلماء ولهذا سمّوا اللغة التى اختص بها هذا النبي الكريم باللغة الهرمسية نسبة لهرمس ولو بقى يتكلم بالسريانية لبقيت على حالها ولما سموها بالهرمسية . ثم ان هذا القطر كانت تتلاطم مياه البحرين الابيض والاحمر فوق اراضيه شمالاً وشرقاً وتقابلها مياه السودان عند الفيضان جنوباً وغرباً فقام هذا النبي الكريم باعانة ربانيـة وإذن من العليم الحكيم وحجز عنه مياه البحرين عند الجزر وسار الى السودان وحصر جريان تلك المياه فى اواسط صحارات كثبان وهى مكونة من تربة ناعمة صفراء مصلحة لكل ارض اختلطت بها من الاراضى الفاسدة وخرق لها شلالات فى جبال شامخات بوضع هندسي لاجل انحدار مياه السودان الى القطر بحسبان وحصر انحداره فى نهر عظيم ممتد فى وسط القطر من اوله الى آخره وهو المسمى بالنيل السعيد ثم فرع منه جداول تأخذ الماء بالحساب

لتعميم الاراضى فسمى القطر وقتئذ تمرا بوزن سكرى اسم للارض ذات الجداول فى اللغة الهرمسية وهى الترع بالعربية ثم لما جرت تلك المياه على هذه الاراضى حاملة لتلك التربة العجيبة واختلطت بها فاصلحتها وصارت سوداء بعد ان كانت سبخة غبراء فسماه بقم بقاف مضمومة وميم مشددة على وزن كُمّ اسم للأسود فى اللغة الهرمسية فاول شىء زرعه فيه من صنف الاشجار شجرة الزيتون فافلحت وتكاثرت فسماه بُق بضم الموحدة وشد القاف بوزن دُر فغرس فيها بعده شجر الاتل فكثر وعظم فسماه نَهى بفتح النون بوزن على وهو اسم شجر الاتل باللغة الهرمسية وقد نظمها بعضهم فى بيت وهو :

ادريس سما القطر اربعة وهي تمرا وقم وبق رابعاً نهى

كذا فى حفظى قديماً ثم رأيت الآن قريباً كتاباً جديداً فى جغرافية مصر وفيه هذه الاسماء الاربعة منظومة فى بيتين على غير ترتيب وهما :

ولمصر اسماء لهرمس قد بدت بلسانه الاصلى والقلم البهى
فاحفظ لها هي بق اولها ورد تمرا وقم وكذاك رابعها نهى

وهرمس فى البيت هو ادريس عليه السلام لانه المعلوم عند الاطلاق حيث تلقب به بعده ممن انفرد فى عصره بالمعارف والعلوم مثله ولكن لم يذكره المؤرخون الا مقيداً لا مطلقاً وربما عبّروا عن هذا النبي بهرمس الهرامسة او بهرمس المثلث اسم للضعف

نقل الامام الجليل الجلال السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة نمره ٣ عن كتاب المسالك الشهير للامام الجليل الفاضل الخطير الامام ابن فضل الله ما نصه : — قال ابن فضل الله فى المسالك ما نصه : الهرامسة ثلاثة هرمس المثلث ويقال له ادريس عليه السلام كان نبياً وملكاً وحكيماً . وهرمس لقب كما يقال كسرى وقيصر قال ابو معشر : هو اول من تكلم فى الاشياء العلوية من الحركات النجومية واول من بنى الهياكل ومجد الله فيها واول من نظر فى الطب وتكلم فيه وانذر بالطوفان وكان يسكن صعيد مصر فبنى هنالك الاهرام والبرابى وصور فيها جميع الصناعات واشار الى صفات العلوم لمن بعده حرصاً منه على تخليد العلوم بعده وخيفة ان يذهب رسم ذلك

من العالم و نزل الله عليه ثلاثين صحيفة ورفعه الله مكاناً علياً . انتهى ما اردناه منه بالحرف

ولقد كان الاحسب بالفاضل ابن فضل الله ان ينظر للفظة هرمس بكلمة حبر كما اسلفنا لان هذا اللقب له من جهة العلم والحكمة لا من جهة الملك والسلطان ألا ترى ان غيره من الحكمآء القدماء العظمآء من تلقب بهذا اللقب ولم يكن ملكاً واما كسرى وقيصر فلقب ملوكي لا علمى ثم ان لهذا الفاضل ابن فضل الله كمال الفضل فى النقل عن الامام الشهير ابى معشر المنجم اكبر فلاسفة الاسلام واولهم فى معرفة الكواكب والطوالع والاحكام انما كان من اكمل الكمال تصدير ترجمة سيدنا ادريس عليه السلام بانه اول من خط بالقلم لانه الوصف الاهم اذ هو القطب الذى عليه مدار ادارة ممالك الدنيا بل عليه مدار الكائنات العلوية والسفلية وهو اول من خلقه الله من عالم الانوار المجردة عن المواد التركيبية الا وهو القلم الاعلا الذى امره الله ان يكتب ما كان وما سيكون الى يوم القيامة كما نطقت بذلك شريعتنا الغراء

فاهمال الامام ابى معشر له وضرب الصفح عن ذكره غير
لائق بقدره ولقد اشتهر هذا القلم الادريسى بالقلم الهرمسى
واشتهرت كتابته التى على برابى الصعيد بالكتابة الهرمسية
فى سائر كتبنا القديمة المعتبرة حتى كتب التواريخ الاوروباوية
وهذا اكبر دليل على ان الواضع لهجاية هذه اللغة القديمة
والناطق بلهجتها انما هو ادريس عليه السلام اما بوحى او الهام
من الله تعالى هذا ولقد كنت اثناء تصنيفى لكتاب التهمته النار
ذكرت ان بناء الاهرامات الكائنة بالوجه القبلى قد كان قبل
الطوفان بمدة مديدة من الزمان وهذان الهرمان الشهيران
الكائنان بالجيزة امام الفسطاط قد بناهما الملك سوريد من
ملوك مصر الذين كانوا قبل الطوفان وذلك لرؤيا هائلة رآها
هذا الملك فجمع لها كهنة القطر فانبأوه بانه سيحدث طوفان
يدمر البلدان وبناءً على هذا الانباء صار بناء هذين الهرمين
وقاية له ولخزائنه من طوارق الطوفان ثم صادف ان حضرنى
رجل فاضل مُرَبَّى على معارف اوربا فجرت بيننا هذه المحاورة :
فقال من اين لكم معرفة ذلك ؟ قلت من استكشاف الخليفة المأمون

العباسى لما حضر الى هذا القطر فى اوائل القرن الثالث وفتح احد هذين الهرمين الفتحة التى الى الآن يدخل منها كل انسان من قاص ودان ، فانكر ذلك كل الانكار وقال انما البانى للهرم الكبير هو الملك خوفو والبانى للثانى اخوه الملك خفرع وهما من العائلة الرابعة المنفيسية التى ملكت بعد منفيس الاول وكلهم بعد الطوفان بمدة مديدة من الازمان كما ثبت ذلك قطعاً ، فقلت من اين جاء لجنابك القطع بان هذه الاهرام انما بنيت بعد الطوفان ؟ فقال لان اثباتى لها من الملوك الذين حدثوا بعد الطوفان بازمان من نفس الكتابة القديمة المنقوشة عليها المسماة بالهيروغليفية . فقلت له من اين جاء لجنابكم معرفة هذه الكتابة وحل رموزها معرفة وصلت الى درجة القطع بها ؟ فقال من استكشاف الفاضل شمبليون الفرنساوى فى اوائل القرن التاسع عشر الميلادى وبيان طرق ذلك ها هو مدون فى نفس كتابه — وقام واحضر الىَّ هذا الكتاب باللغة الفرنساوية وطفق يترجم لى بما لفظه : انه وجد بحجر خطاً يونانياً معلوماً تحت الخط الهيروغليفي المجهول وبين كل من كلمات الخطين اسماء متكررة متماثلة فى

الوضع فاستنتج بفكره الوقاد الثاقب ان الخط اليونانى المعلوم انما وضع تحت الخط القديم المجهول تفسيراً له فاخذ يقابل بين حروف الاسماء التى فى الخطين حتى استخرج الحروف القديمة وعرفها . انتهى ما ترجمه لى هذا الفاضـل ، ثم اطبق الكتاب ورفعه موضعه وسكت . فقلت ان هذه المسئلة ليست من المسائل التى للفكر فيها مجال فيستنتجها من قرائن الاحوال بل لا سبيل لاثباتها بالادلة العقلية المنطقية القطعية لان هذه المسئلة هى ام المسائل التى لا سبيل الى القطع بثبوتها سوى النقل المتواتر المتوارث عن اربابها مشافهة ، وهل بقيت من ارباب هذه اللغة باقيـة الى الآن ؟ فاجابني ان ارباب هذه اللغة قد انقرضوا قطعاً وان ماقررته فى تثبت اللغات امر قطعى ولكن الفاضل شمبليون على ما يقال لم يقتصر فى طريقة اثبات هذه اللغة على مجرد التفرس فى الكتابة التى وجدت على الحجر المذكور بل اخذ اولا يتعلم اللغة القبطية القديمة وكذا اليونانية ثم بعد ان تثبت كل التثبيت من صحة استنتاجه بما تعلمه من هاتين اللغتين عرض هذا الاستنتاج على بعض العلماء والقسس الكبار

فاقروه على هذه الافكار ولا ريب فى ان هؤلاء القسس قد
توارثوا هذه اللغات القديمة عمَّن قبلهم بالتواتر خصوصاً اللغة
اللاتينية الاصلية التى اختصت بها رؤساء الديانة ثم شرع بعد
ذلك مع بذل الجهد فى ايضاح هذه اللغة وصنف فيها قواعد
واودعها رسالة كالاجرومية النحوية وانتشر بعد ذلك تعليمها
حتى صارت من الضروريات المعلومة قطعاً كسائر اللغات
المشهورة المستعملة بين سائر سكان المسكونة نطقاً ووضعاً .
هذا محصل ما استند اليه هذا الفاضل . ثم انصرف وانصرفت
هذه المناقشة من فكرى . ثم عاد هذا الفاضل فى اليوم الثانى
وقال : ان هذه اللغة كذَّبت كثيراً من الاخبار القديمة حتى
التي وردت بها الكتب السماوية المقدسة ثم قال ان شمبليون
ذكر فى كتابه ان محمداً بن عبد الله النبي المشهور لم يكن على
معرفة تامة فى العلوم الحكمية وعلى الاخص علم الهيئة فى
كتابه المسمى بالقرآن — . فقلت له هذا من جهله بحكمة
ارسال الرسل فقال نعم وهو بهذه المقالة اجهل جاهل . ثم انى
اجتمعت بعدها على بعض الرؤساءالمسترسلين فى الشهوات مع

النفور من امور الدين فجرى بيننا البحث فى هذا الموضوع فذكر لى عبارة شمبليون معتقداً لها جازماً بها فأخذ منى الغضب كل مأخذ وقلت لهذا القائل : ان سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم وسائر الرسل الكرام ما بعثهم الله الا لهداية الانام الى سبيل السعادة الابدية الاخروية التى بها حفظ الروح الشريفة الامرية التى امتاز بها الانسان عن سائر انواع الحيوان وبهذا كانت عناية كافة الحكماء والفلاسفة القدماء العارفين بكافة الاشياء من العرش للفرش لا ليعلموا الناس علم الهيئة والجغرافية وانما يحتاج لمعرفة علم الهيئة والجغرافية امثال جنابكم المحافظين على هذا الهيكل لحفظ حياته الحيوانية بتحصيل القوت الذي يقيمه فى هذه الدار الدنيوية ولو ان المدارس اختصت بتعليم علم الشعبذة ليس الا وترقية من يترقى فى تعليمها الى الوظائف العالية لكان علم الشعبذة اشرف العلوم لهذا الغرض المذموم عند قدماء فلاسفة الهند ومصر والروم اذ ليس الانسان عند كافة هؤلاء الفلاسفة هو هذا الهيكل المحسوس الجسمانى المشارك لسائر الجمادات فى الجسمية وانما هو اللطيفة الربانية

التى تبقى بعد مفارقة هذا الجسم اما الى سعادة ابدية واما الى شقاوة سرمدية «أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون» فكانت عناية الله ورأفته ورحمته بالناس ان يرسل الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام لئلا تبقى الناس على التوحش وافتراس القوى الضعيف كما تفعل الوحوش فى القفار فاقام الحدود وشرع الشرائع لحفظ هذا الاجتماع الانسانى فى هذه النشأة بمعرفة عظمة اله واحد قادر يخضع الانسان لاوامره فلا يسيء الى نفسه ولا لاخيه فيبقى مجيداً بمعانقته للدين فى الدنيا ويرقى سعيداً الى اوج السعادة الابدية فى الاخرى واما الذين لا يدينون بهذا الدين انما يأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوىً لهم ولذلك لم يشرح الله تبارك وتعالى فى كتابه المجيد المنزل على نبيه الحميد من امر السموات والارض الا على قدر ما تقوم به الدلائل على اثبات وجوده ووحدانيته وانفراده بالخلق فلو نظرنا نظراً بسيطاً سطحياً من رؤية الكواكب والشمس والقمر وتعاقب الليل والنهار وانشقاق الارض بالانهار واثبات الزروع والاشجار ولو بسط القول فى علمى

الهيئة والجغرافية لضاع العمر فى تعلمها فاضاع على الانسان ما خلق له « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » . ومع ذلك لو ان عالماً متبحراً فى علمى الهيئة والجغرافية لاستنتج من هذا القدر اليسير المشير للعالمين ماتحير فيه الافكار ولاتني بالوقوف على شرح حقائقه الاعمار ، ولعل ايها الفاضل ان استاذك شمبليون لم يطلع على تفسير الامام الفخر الرازى على القرآن المجيد فى شرح العالمين وكيف جاز لمثلك وانت مسلم ان تسلم الى شمبليون طعنه فى الكتاب الذى افحم بلغاء قحطان واعيى فصحاء عدنان عن الاتيان باقصر سورة منه على ما كانوا منطبعين عليه من البلاغة والفصاحة وهو من نوع كلامهم الكتاب الذى ما فرط الله فيه من شىء كان او سيكون من الحوادث والوقائع

﴿ نادرة ﴾ وقعت لى حادثة عظيمة سنة الف وثلثماية وثلاثة عشر وهى مناظرة رجل عالم فاضل قسيس يبلغ من العمر خمسون سنة تقريباً اجتمعت معه فى الوابور البرى

فسألني لمناسبة قائلاً ان هذا الوابور فى اى آية ورد ذكره من
كتابكم العزيز حيث يقول الله فيه ما فرطنا فى الكتاب من
شيء فاجبته بسرعة فى قوله تعالى : « والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون » . فالوابور داخل فيما
لا نعلم فقال هذا عام فى كل ما سيحدث ولكنى اريد خصوصاً
هذا الوابور لما ورد عن الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه
انه قال لو ضاع عقال بعيرى لوجدته فى القرآن وعقال البعير
جزئى لا كلى فالهمنى الله تعالى قوله تعالى : « وآية لهم انا حملنا
ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » .
فالوابور هو مثل الفلك سواء بسواء فقال لكن المروى عن
الامام ابن عباس ترجمان القرآن انها الابل حيث قال الابل
سفن البر فقلت له لما لم يكن الوابور فى زمنه راى ان الابل
أشبهته فقال ان كان عندك ما يؤكد كلامك عقلاً فأت به فقلت
لا ريب فى ان الفلك جماد والوابور جماد والفلك سائر على
عنصر الماء بسبب عنصر الهواء فبقى من العناصر الاربعة
التراب والنار والوابور سائر على عنصر التراب الثقيل فى مقابلة

عنصر الماء الثقيل وسيره بواسطة عنصر النار الخفيف فى مقابلة الهواء الخفيف وان العرب لا تقول هذا مثل هذا الا ان حكاه من جميع الوجوه او اكثرها . وهنا انتهى الكلام وافترقنا بسلام

هذا ملخص ما وقع بينى وبينه قد بسطته تفصيلا وقد صممت على أن ابذل غاية الجهد فى الكلام على هذه المسئلة ولحسن الحظ أُرشدت الى كتاب حسن المحاضرة للامام الجليل الجلال السيوطى فى تاريخ مصر والقاهرة اذ اخبرنى اكبر علماء عصرنا انه قد جمعه من نيف وثلاثين كتاباً لاجلاء العلماء فاجتهدت فى البحث عليه حتى وصلت بكل مشقة اليه وجمعت فكرى لديه ونظرت اليه فاذا فيه من الجزء الاول صحيفة ١٦ فى ترجمة من ملكوا مصر قبل الطوفان ما نصه : «وملك بعده ابنه سوريد وهو اول من جبى الخراج بمصر وهو الذى بنى الهرمين ولما مات دفن فى الهرم الكبير ودفن معه جميع امواله وكنوزه . انتهى» ثم نقل هذا الامام ايضاً بعده عن الامام المحقق ابن عبد الحكم صحيفة نمرة ٣٣ مانصه قال : لا احسب الا ان هذه الاهرام بنيت قبل الطوفان لانها لو بنيت بعد

الطوفان لكان علمها عند الناس . قال جماعة من اهل التاريخ :
ان الذى بنى الاهرام سوريد بن سلهوق بن سرياق ملك مصر
وكان قبل الطوفان بثلثمائة سنة وسبب ذلك انه رأى فى منامه
كأن الارض انقلبت باهلها وكأن الناس هاربون على وجوههم
وكأن الكواكب تساقطت يصدم بعضها بعضاً باصوات هائلة
فأغمه ذلك وكتمه ثم رأى بعد ذلك كأن الكواكب الثابتة نزلت
الى الارض فى صورة طيور بيضاء وكأنها تخطف الناس
وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكان الجبلين قد انطبقا عليهم وكان
الكواكب النيرة مظلمة فانتبه مذعوراً فجمع كهنة مملكته وكانوا
مائة وثمانين كاهناً وكبيرهم يقال له افليمون فقص عليهم ما رأى
فاخذوا فى ارتفاع الكواكب وبالغوا فى استقصاء ذلك فاخبروا
بأمر الطوفان قال : أو يلحق بلادنا ؟ قالوا نعم وتخرب وتبقى عدة
سنين خربة فامر عند ذلك ببناء الاهرام ، انتهى بالحرف . ثم
نقل بعدها فى الصحيفة نمرة ٣٤ ما نصه : وذكر القبط فى كتبهم
ان عليها كتابة منقوشة تفسيرها بالعربية انا سوريد الملك بنيت
الاهرام فى وقت كذا وكذا واتممت بناها فى ست سنين فمن

اتى بعدى وزعم انه مثلى فليهدمها فى ستمائة سنة وانى كسوتها بالديباج عند فراغها فليكسها بالحصير ولما دخل الخليفة المأمون مصر ورأى الاهرام احب ان يعلم ما فيها فاراد فتحها فقيل له انك لا تقدر على ذلك فقال لا بد من فتح شىء منها ففتحت له الثلمة المفتوحة الآن بنار توقد وخل يرش وحدادين يحدون الحديد ويحمونه ومناجيق يرمى بها وانفق عليها مالاً عظيماً حتى فتحت فوجد عرض الحائط عشرين ذراعاً فلما انتهوا الى آخر الحائط وجدوا خلف الثقب مطهرة من الزبرجد الاخضر فيها ألف دينار وزن كل دينار اوقية من اواقينا فتعجبوا من ذلك ولم يعرفوا له معنى فقال المأمون ارفعوا الىّ حساب ما انفقتم على فتحها فرفعوه فاذا هو قدر الذى وجدوه لا يزيد ولا ينقص ، انتهى . ثم نقل هذا الامام الجليل الجلال أيضاً عن صاحب مباهج الفكر فى صحيفة نمرة ٣٦ ما نصه : ومن المبانى التى يبلى الزمان ولا تبلى وتدرس معالمه واخباره لا تدرس ولا تبلى الاهرام التى باعمال مصر وهى كثيرة اعظمها الهرمان اللذان بجيزة مصر ويقال ان بانيهما سوريد

ابن سلهوق بن سرياق بناها قبل الطوفان لرؤيا رآها فقصها
على الكهنة فنظروا فيما دل عليه الكواكب النيرة من احداث
تحدث فى العالم واقاموا مراكزها وقت المسئلة فدلت على انها
نازلة من السمآء تحيط بوجه الارض فامر ببنائهما ثم قال
فى آخر هذه الصحيفة مانصه : (والقبط تزعم انهما والهرم الصغير
الملون قبور فالهرم الشرقى فيه سوريد الملك والهرم الغربى فيه
اخوه هرجيب والهرم الملون فيه افريدون بن هرجيب) انتهى .
ثم نقل هذا الامام أيضاً عن الامام الشهير ابن المتوج فى
الصحيفة نمرة ٣٧ مانصه : (من عجائب مصر ما بجانبها الغربى
من البنيان المعروف بالاهرام وعددها ثمانية عشر هرماً منها
ثلاثة بالجيزة مقابل الفسطاط ولما فتح المأمون احدها انتهى
الى حوض مغطى بلوح مملوء من ذهب واللوح مكتوب فيه
اسطر فطلب من يقرأها فاذا فيه : «انا عمرنا هذا الهرم فى ألف
يوم وابحنا لمن يهدمه فى ألفى يوم والهدم أيسر من العمارة
وجعلنا فى كل جهة من المال بقدر ما يصرف على الوصول اليه
لايزيد ولا ينقص» انتهى بالحرف . فهذه أقوال فحول اجلاء

العلماء الاعلام كلها متفقة على ان البانى لهذه الاهرام انما هو
سوريد الملك ابن سلهوق بن سرياق أحد ملوك مصر قبل
الطوفان بقرون من الاعوام وقد بين هؤلاء العلماء الاسباب
التى انبنى عليها بناء الاهرام الكبير فى الابتداء من الرؤيا التى
رآها الملك سوريد مرتين وجمع لها كهنة القطر جميعاً وبينوا
عددهم واسم كبيرهم افليمون وبينوا انباءهم بنباء الطوفان الذى
لا ينكر وقوعه قديماً بعد انبائهم به أحد من عقلاء بنى الانسان
الا جاهل جاحد وكافر معاند فان كافة الكتب السماوية المقدسة
انبأت بانه وقع على يد سيدنا نوح عليه السلام واجمعت عليه
كافة عقلاء المسكونة وتناقلوه بالتواتر جيلاً بعد جيل حتى ان
جميع العرب تكلموا به فى اشعارهم قبل نزول التنزيل الجليل
وكذا خبر قدوم الخليفة المأمون العباسى فى اوائل القرن الثالث
من الهجرة الى قطر مصر بقصد استكشاف حقيقة الاهرام
وما عاناه من الاعمال الهائلة وصرفه على فتح الثلمة الموجودة
الآن من الاموال الطائلة كل ذلك ثابت بطريق التواتر
منقولاً الينا جيلا بعد جيل عمن شاهدوا ذلك بأعينهم .

فكل ما سبق من هذه الاقوال انما هو بناء على ما استكشفه المأمون سوى ما نقل عن كتب القبط القديمة وكلها مؤيدة لاستكشافه فيكون آخر المقالة المنقولة عن كتب القبط هى جملة فليكسها بالحصير ويكون قوله ولما دخل المأمون الخ هو عن كتاب آخر ويحتمل على بعد ان هذا الكتاب المنسوب الى القبط قد دوّنه — نفس استكشاف المأمون — من كانوا معه من رؤساء القسس ويؤيد كل ذلك الحبر الجليل العلامة الوحيد الذى تعلم العلوم الاورباوية الجديدة ومنها اللغة الهيروغليفية الفريد فى علم الهيئة بطليموس مصر وقدوة كل فلكى مصرى بل واورباوى صاحب تاريخ مصر القديم والحديث (اقرأ صحيفة نمرة ١٤ من هذا التاريخ) كل هذا نراه مناقضاً لاستكشاف الفاضل شمبليون على خط مستقيم فهل كان استكشاف شمبليون بطريق أشد وثوقاً من استكشاف الخليفة المأمون حتى يقطع بنتيجة استكشافه ان بانى هذه الاهرام العائلة الرابعة بعد الطوفان ويجب تكذيب نتيجة استكشاف الخليفة المأمون من ان بانيهما سوريد قبل الطوفان .

الجواب كما سيتضح للناظرين بعون الله تعالى بأقوى برهان ،
ولما ساعدتنى الاقدار الالهية وأراد الزمان انصافى دلنى على
حضرة الفاضل النبيل النجيب احمد بك نجيب فعرضت
عليه هـذه الافكار فاهدانى نسخة من كتابه المسمى
بالاثر الجليل لقدماء وادى النيل فطرت من الفرح بهذا
الكتاب لانه لابد وان يكون هو العمدة فى هذا الباب
حيث كان مؤلفه مفتش الآثار فاذاً يكون هو صاحب
الدار فبحثت عن هذا الموضوع وأتيت بمقالة لتزين كتابى
هذا وها هى قد سطرتها لديكم هنا بحروفها واصولها وفروعها
وقطوفها يقول : (ان المسيو بوسار والضابط الطبجى الفرنساوى
كان يحفر خندقاً بالقرب من ثغر رشيد سنة ١٧٩٧ ليتحصن
به من عدوه مع بعض عساكر الحملة الفرنساوية فوجد حجراً
موجوداً الآن ببلاد الانجليز مكتوباً بثلاثة اقلام البربائى
والديموطيقى (العلم المختصر الدارج المصرى) واليونانى ونصهما
واحد وهو حكم اصدرته كهنة منفيس فى حفلة عامة ضمنته
تعظيم بطليموس ابيبغانوس الماجد وكان القلم البربائى لذلك

العهد مستوراً بالحجاب ومختوماً عليه بخاتم القدرة فحاول جماعة ممن يعرف اليونانية فك معماه لكن انقلبوا بلا ثمرة بعد العناء والتعب مع ان بعضهم حام حماه وكاد ان يجتلى محياه ثم جاء شمبليون الفرنساوى واخذ يمعن النظر فيه ويقدح زند فكرد فلاح له ان اسم بطليموس وكليو بطره المكتوبين باليونانية فى خانة ملوكية موجودان ايضاً بالبربائية والديموطيقية فعلم ان نص الثلاثة واحد واخذ يقارن اول حرف من اسم الملك المكتوب باليونانية باسمه المكتوب بالبربائية والثانى بالثانى والثالث بالثالث وهكذا حتى عرف جميع احرف الملك والملكة ثم اخذ يقارن بين الاحرف وبعضها حتى تثبت من معرفتها فكان يستدل بالمعلوم على المجهول ونحا نحو هذا النحو فصادف المرمى ولم يمضِ عليه زمن كبير حتى كملت له الاحرف الهجائية المصرية فقال فى نفسه ما فائدة الكتابة ان لم اعرف اللغة نفسها ولذا انكب على المطالعة والتفرس فى الاشكال والاشارات ومدلولاتها فكان يصيب تارة ويخطئ اخرى الى ان صار عنده المام منها وطالع اللغة القبطية وقارن الاسماء ببعضها الى ان انفتح له مغلق

الباب فكتب كراسة واودعها الاحرف الابجدية وبعض الصور المقطعية وعرضها على علماء اوربا فاكبروه وكانوا بين مصدق ومكذب وما زال هو يبذل الجهد ويطالع اسماء الملوك الخفيفة التى على آثار الصعيد وقصد كل شارة فاتسعت معارفه وقام من بعده جماعة من العلماء فى ممالك مختلفة وبذلوا ما فى وسعهم الوقوف على حقيقة ما الفه فتمموا مشروعه ووقفوا على تمام القلم وكتبوا فى هذه اللغة قواميس واجروميات مثل باقي اللغات . انتهى)

وهذا اعظم توضيح واتم تشريح لجثة طريقة شمبليون التى استكشف بها حل اللغة الهيروغليفية وكل هذه الجثة مركبة من حجر رشيد اولا وهو رأسها وباقى اجزاء اعضائها المطالعة والتفرس فى الاشكال والاشارات ومدلولها وقلبها مطالعة اللغة القبطية وكبدها وباقى امعائها المقارنة بين الحروف والاسماء وبعضها مطالعة اسماء الملوك التى على آثار الصعيد وليس فى هذه المقالة الجليلة تعرض لا بالتصريح ولا بالتلميح الى ان شمبليون او غيره وجد فى آخر الخط اليونانى

تصريحاً بانه ترجمة ما فى الخط البربائى بل ولا ترجمة الفاضل
الاول المجادل حين ترجم لى عبارة نفس شمبليون من نفس
كتابه وهى مضمون ما بسط حضرة البيك النجيب مفتش
الآثار فى مقالته هذه بيد انى اطلعت بعد مدة على كتاب
عنوانه اتحاف العصر بتاريخ ملوك مصر تأليف محمد أمين
واصف من طلبة مدرسة الحقوق الخديوية وعبد العزيز محمود
معيد تدريس المدرسة الخديوية وفى مرآة هذا الكتاب ايضاً
ان نظارة المعارف الجليلة قررت تدريس هذا الكتاب
بالمدارس الاميرية وانه طبع مرتين الثانية سنة ١٨٩٣ فيكون
له سبع سنين تقريباً وهو يدرس فى المدارس الاميرية وانظر
الطبعة الاولى متى كانت فعلى الاقل سبع سنين بينها وبين الثانية
تكون الجملة اربعة عشرة سنة فلم اكن فى ريب من اعتبار هذا
الكتاب وانه اول كتاب محرر فى هذا الباب اجمعت على صحته
كافة خوجات المدارس الاميرية وجمعية علماء نظارة المعارف
الجليلة اذ لا يجوز ان تقرر المعارف دراسته فى المدارس
الاميرية الا بعد امعان نظر هؤلاء العلماء فيه بتدقيق النظر فى

معانيه ففرحت به ايضاً اشد فرحاً من كتاب جناب مفتش الآثار وان كان هو صاحب الدار فنظرت فى ترجمة اللغة الهيروغليفية فى صحيفة نمرة ١٤ من هذا الكتاب فاذا فيها ما نصه : (اعلم ان اليونان والرومان لم يشتغلوا بشيء من امر اللغة البربائية التى كانت تتكلم بها سكان مصر لغاية مدة حكمهم فلذلك طرحها الكتَّاب من افكارهم فاصبحت سراً مكتوماً وحجاباً مستوراً مصوناً حتى وفد على مصر علماء فرنساويون صحبة التجريدة الفرنساوية التى غزا بها بونابارت الديار المصرية سنة ١٧٩٨ ميلادية وفى سنة ١٨٠٠ ميلادية بينما كان الضابط الطوبجي المسيو بوسارد مشتغلاً بالحفر جهة رشيد لانشاء المتاريس والاستحكامات للتحصن هناك عثر على حجر منقسماً الى ثلاثة اقسام القسم الاول مكتوب بالقلم الهيروغليفى الذى كانت تستعمله الكهنة فى الكتب المقدسة والقسم الثانى مكتوب بالقلم الديموطيقى الخط المعتاد والقسم الثالث الاسفل بالخط اليونانى ومكتوب فى آخره هذا ترجمة ما سبق بالخط البربائى فأخطر هذا الضابط جمعية تقدم المعارف الفرنساوية بهذا

الحجر المشتمل على امر عال صادر من بطليموس الخامس فتلاعبت افكار العلماء بحل ما يكنه هـذا الحجر وسموه حجر رشيد وما زال جملة من علماء اوروبا يتعاقبون الواحد بعد الآخر فذهبت اعمالهم سدى ولم تأت بأدنى فائدة غير ان العلامة (ترويجا) اقترح ان اسماء الملوك عند قدماء المصريين كانت توضع فى نوع مستطيل ضلعاه الاخيران قوسان سماه خرطوش واستمر ما اشتمل عليه هذا الحجر مكنوناً زمناً طويلاً غير ان المعلم الانكليزى يونج استخرج بعض الحروف الهجائية وظهر بعده الشاب ذو القريحة الوقادة الذكي الفطنة الفرنساوى (حنا فرنسيس شمبليون) فاشتغل من شبيبته بتعلم اللغات الشرقية وخصوصاً القبطية ومارس كثيراً من النقوش الاثرية الى ان عرف الخط البربائى ليس الا كاللغات الاخرى ذات علامات يتلفظ بها كالحروف وان يكتب على ثلاثة اشكال خط هيروغليفى وهو الخاص فى الغالب بالاديان وخط هيراطيقى وديموطيقى وهما مختصر الخط الهيروغليفي كالنسخ والرقعة والديوانى فشرع سنة ١٢٣٧ هجرية فى استخراج ما توقفت

فيـه العلماء ففى مدة سنتين استخرج جملة حروف هجائيـة
والطريقة التى اتبعها هى انه لما وجد فى النص اليونانى اسم
بطليموس اخـذ ما يقابله من الخرطوش المدون فى الخط
البربائى الذى تحته فبمقابلة هذين الخطين عرف الحروف
الاصلية من الزوائد ثم قابل ما عنده من الحروف باسم
كليو بطره فاستخرج حروف اخرى وهـذا اسم اسكندر
الاكبر وبساميتيك وتحوتمس حتى عرف بعض الحروف
الهجائية ثم بقى عليه مسئلة معضلة اظهر فيها هذا العالم ما يدل
على رفعته وقدرة وحدة ذكائه وهى معرفته اللغة نفسها اذ لا يفيد
النطق بالفاظ مع جهل المعنى فما زال يطابق الثلاث خطوط
المرسومة على حجر رشيد على بعضها الى ان استخرج بعض
عـلامات اخرى وكذا سلك اسـلوب الترقى من المعلوم
للمجهول حتى ابتدع فى الكتابة المصرية القديمة المعروفة
بالبربائية او الهرمسية والَّف لها اجرومية شبيهة بالاجرومية
القبطية وقاموساً لهذه اللغة ومع كل فلم يسلم من سهام النقد
والتنديد حيث خطأه كثير من العلماء . انتهى بالحرف ما اردنا

ايراده عنه ولنتكلم بعون الله على نقط منه فنقول :

النقطة الاولى قوله فى صدر المقالة اعلم أن اليونان والرومان لم يشتغلوا بشيء من أمر اللغة البربائية هذه قضية مسلمة اجماعية بل حسية لان هذا تاريخ ملك اليونان بمصر قد عرفه الخاص والعام لم يذكر فيه كلمة ما فى بيان حقيقة تلك الآثار التى اعتنى ببنائها الملوك القدماء لاجل الافتخار على سائر الانام وهم يعرفون انهم لو تكلموا فى هذا الشأن لكان غرة فى جبهة تاريخهم على ممر الزمان وما ذلك الا لجهلهم بهذه اللغة بسبب عدم اشتغالهم بتعلمها بيد ان عدم اشتغال اليونان بمعرفة هذا اللسان ليس لجمود فى القريحة او خمود فى الهمة فان الملك اسكندر الاكبر كان من المعارف والعلوم الفلسفية على حظ اوفر حتى ان استاذه ارسطو كان يقدمه على سائر تلامذته فى حال صغره قبل تربعه فى دست الملك لما فيه من الفطنة وعلو الهمة فى تحصيل المعارف وهو اعرف الناس بمقدار تلك الآثار فاذن وجب ان يكون السبب فى عدم اشتغال اليونان بهذا اللسان انما هو لجهل عامة المصريين به فكان غير

مستعمل بينهم وانما كان قاصراً على خصوص الكهنة كما هو المشهور بين الجمهور وقد صرح به جناب هذا العارف الافندى واصف فى غير موضع من هـذه المقالة فارتفع الاضطرار الى عناء الاشتغال بتعلم هذا اللسان لان الملوك على سنن الانبياء انما يراعون ما عليه عموم الرعية ولربما لو قصد ملوك اليونان الكهنة فى تعليمهم هذا اللسان ولو لبعض خواصهم لاشتغال الملوك فى شأن الاصلاح لضنَّ هؤلاء الكهنة عليهم بتعليم لهم كما ضنوا به على اهله من عامة الامة المصرية فبانضمام هـذا السبب ايضاً الى السبب الاول امتنع على اليونان وكذا الرومان الاشتغال بتعلم هذا اللسان

النقطة الثانية دعوى هذا الفاضل واصف انه مكتوب فى آخر الخط الثالث الاسفل اليونانى انه ترجمة ما سبق فى الخط البربائى وهذه الدعوى مرفوضة نقلاً وعقلاً اما نقلاً فهذا كتاب نفس شمبليون الفاتح لابواب هذه اللغة المغلقة قد ترجم لى جناب الفاضل المجادل عبارة طريقة استكشافه لهذه اللغة وليس فيها انه وجد فى آخر الخط اليونانى تصريحاً

بأنه ترجمة ما سبق فى البربائى ولو كان موجوداً لكان له
اقوى واقوم صراط للوصول الى حل هـذه اللغـة وابتدأ
بذكره فى اول امره لانه يكون القطب الذى يدور مدار
استكشافه على محوره وكذلك لم يصرح ولم يلوح به احد من
الكتاب فى هذا الباب وبالاخص حضرة الفاضل النجيب
مفتش الآثار وهو صاحب الدار وصاحب الدار ادرى بالذى
فيها واما عقلاً فانه لو كانت هذه الدعوى صحيحة لدلت دلالة
قاطعة واضحة على ان اليونان قد اشتغلوا بامر اللغـة البربائية
حتى عرفوها حق معرفتها فوضعوا ترجمتها بلسانهم تحتها فان
من ترجم لغة غيره بلغته فقد اشتغل بها كل الاشتغال واعطاها
حق تعلمها على احسن منوال وهو مناقض لما اسلفه فى صدر
المقالة على خط مستقيم لانه جزم بانهم لم يشتغلوا وقد اشتغلوا
وتوارد النفي والاثبات على نقطة واحدة من اشنع المحالات ولا
يمكن حمل النفي عن الاشتغال بخصوص تدوينها لانه اتى بلفظ
شيء فى سياق النفي وهو انكر النكرات ثم بينه بلفظ امر والنكرة
فى سياق النفي نعم قضية اجماعية من سائر العـقلاء فامتنع

تخصيص النفى بالتدوين ووجب بقاؤه عاماً للاشتغال بشىء ما
من امر هذه اللغة لليونانيين وهو الواقع ونفس الامر كما بيناه
فاذن بطلت دعوى ان فى الخط اليونانى تصريحاً بانه ترجمة
الخط البربائى فان قلت اما يحتمل ان يكون الذى كتب الخط
البربائى هو العارف به وقد تعلم الخط اليونانى وكان يعرف
ايضاً الخط الديموطيقى طبعاً فيكون قد كتب اولاً الخط البربائى
من اربابه ثم تلاه بالديموطيقى ثم تلاه باليونانى وصرح فى آخره
بانه ترجمة الخط السابق البربائى وبهذا اندفعت المناقضة . قلت
هذا الاحتمال من قبيل المحال وذلك لوجوه :

الوجه الاول

ان العمدة فى هذا الموضوع انما هو النقل عمن شاهد
منشأ المسئلة وبذله غاية جهده فى استكشاف هـذه اللغة ألا
وهو شمبليون وقد قدمنا لك ان نفس المكتشف لها لم يذكر
انه وجد هـذه الجملة بالخط اليونانى وكذا غيره من الذين بينوا
طريقته لانهم جميعاً انما هم تراجمة لنقل ما عاناه فى استكشافها
حرفاً بحرف واكبر شهادة مقالة سعادة مفتش الآثار التى بين

يديك وقد جلوتها بنصها عليك بل نفس هذا المدعى جناب الافندى واصف لم يذكر هذه الجملة عند ما سطر طريقة شمبليون حيث قال والطريقة التى اتبعها هى انه لما وجد فى النص اليونانى اسم بطليموس اخذ ما يقابله الخ فلو كانت هذه الجملة موجودة بالخط اليونانى كما ادعى لكان من الوجوب الشرعى عليه ان يقول ولما وجد فى آخر الخط اليونانى انه ترجمة البربائى اخذ الخ لانه اقوى واقوم طريقة للوصول بالمعلوم الى المجهول فلما لم يذكرها المستكشف الاصلى فى كتابه ولم ينقلها احد من التراجمة فى باب طريقة استكشافه علمنا بالطريق البرهانى ان هذه الجملة لا وجود لها رأساً فى الخط اليونانى وان قائم طريقة استكشافه سوى وجود الاسماء بين قوسين واعمال الفكرة كما هو مقتضى تعبيره بضمير الفصل المقتضى للحصر فى قوله والطريقة التى اتبعها هى كذا الخ فصار ذلك الاحتمال من طريق المحال

الوجه الثانى

اذا جوز العقل هذا الاحتمال لوجب ان يكون الكاتب

لهذه الخطوط الثلاثة انما هو احد الكهنة ليس الا لان هذه
اللغة البربائية اختصت بهم وقصرت عليهم دون غيرهم بشهادته
فى مقالته وهذا ممتنع عادة وديانة لان الكهنة هم رؤساء الدين
وعلماء الامة فمن الواجب الدينى احترامهم لان امتهانهم كفر
فى كافة الملل باجماع الامم وهذا الامر صادر من بطليموس
وهو يونانى قطعاً وقد تقرر سابقاً ان جميع افراد اليونان لم
يشتغلوا بتعلم ذلك اللسان فاذن وجب ان يكون الامر بلسان
اليونان ولا يجوز لسلطان ان يتخذ كاهناً يستخدمه فى كتابته
لانه امتهان وبالاولى لا يجوز ان يتخذه بصفته ترجمان فصار
ذلك الاحتمال من قبيل المحال .

الوجه الثالث

اوامر الملوك دائرة بين امرين اما طلب فعل امر من
الامور التى تنفع عموم الرعية واما نهى عن فعل امر ضار بعموم
الرعية وعلى كلا الامرين فهو محض جبر وقهر ثم ان امر
بطليموس هذا اما ان يكون صادراً للكهنة وهذا ممتنع لانه
امتهان اليهم وتعدٍّ عليهم فى مناصبهم لان منصبهم هو صدور

الحكم منهم على الملوك والاكابر لا أن الملوك والاكابر يحكمون عليهم ولقد أجاد من قال :

ان الاكابر يحكمون على الورى   وعلى الاكابر تحكم العلماء

فاذن وجب ان يكون صادراً للرعيـة ورعيتهم هي عامة المصريين الذين يتكلمون بالديموطيقية فاذن وجب ان يكون الخط الديموطيقى هو الذى يكون ترجمة للخط اليونانى الملوكي كما هو المشاهد الآن من صدور الفرمان بالتركية من لدن جلالة السلطان الى قطر مثل مصر فيضعونه اعلا بلسان جلالة السلطان ويترجمونه لنا بلساننا واضعين لهذه الترجمة تحت الامر السلطانى . والافندى واصف قد جعل الامر السلطانى الصادر باللسان اليونانى هو الاسفل والمصيبة كونه ترجمة للبربائى الذى لا دخل له فى الاحكام السياسية لانه خاص بالاديان التكليفية فاذن امتنع ان يكون الخط اليونانى ترجمـة البربائى وصار ذلك الاحتمال من قبيل المحال ثم لو تنزلنا كل التنزل وفرضنا ان السلطان اصدر امره بلسان اليونان الى عامة رعيته المصريين ورأى ان تنفيذ هذا الامر لا يكون الا بواسطة الكهنة

لانقياد العامة للعلماء اكثر من انقيادهم للامراء وان فى الكهنة من تعلم اللسان اليونانى فهذا الكاهن انما يأمرهم بامتثال امر السلطان بعد ان يقرأه عليهم بلسانهم الذى اعتادوه فيما بينهم فاذن وجب ان يكون الخط الديموطيقى ترجمة الخط اليونانى الملوكي وهذا الاحتمال من قبيل المحال

الوجه الرابع

لو كانت هذه الجملة موجودة على حسب دعوى الافندى واصف ولو احتمالاً لكان ادنى عالم باللغة اليونانية يصل الى معرفة اللغة البربائية بمجرد النقل من غير مكابدة ولا معاناة ادنى ضرر وقد صرح الافندى واصف بان علماء اوربا بعد العناء الهائل خرجوا من المسألة على غير طائل وقد وافقه على هذه النقطة الفاضل العلامة حضرة مفتش الآثار فعلى كل حال صار ذلك الاحتمال من قبيل المحال وبطل ادعاء الافندى واصف انه مكتوب فى آخر الخط اليونانى ترجمة ما سبق بالخط البربائى

النقطة الثالثة يقول جناب الافندى واصف هذا الحجر

مشتمل على امر عال صادر من بطليموس الخامس والذى قاله سعادة مفتش الآثار ان نص الثلاثة اقلام التى بالحجر واحد وهو حكم اصدرته كهنة منفيس فى حفلة عامة ضمنته تعظيم بطليموس فبين الروايتين مثل ما بين الضدين ولعل الخطوط الثلاثة المتحدة كانت — كالمرأة ذات الوجهين — مترجمة بترجمتين لصحة الرواية

النقطة الرابعة قوله — اي الافندى واصف — واستمر ما اشتمل هذا الحجر عليه محجوباً عنا طويلاً غير ان المعلم الانجليزى يونج استخرج بعض الحروف الهجائية وظهر بعده الشاب شمبليون الخ . فاقول اذا كان المعلم يونج الانكليزى هو الذى استخرج بعض الحروف الهجائية ابتداءً قبل ان يكون الشاب الشملول شمبليون وجب ان يكون المعلم يونج الانكليزى هو اول من فتح باب استخراج اللغة الهيروغليفية من كنز الخفاء ووجب ان يكون هو استاذ شمبليون لا استاذه الحجر المصون وحينئذ وجب ان يكون المعلم الانكليزى هو صاحب الامتياز وان تكون لدولة بريطانيا الاختصاص والتصرف

الاسمى فى ادارة دائرة الانتيكات المصرية لاالدولة الفرنساوية بمقتضى القوانين الاورباوية التى اصطلح عليها سائر بنى الانسان من اول الزمان على ان الذى يخترع شيئاً او يستكشف امراً خفياً من الامور ذوات الشأن خصوصاً فى الصنائع عامة المنافع يجب ان يكون هو صاحب الامتياز والاختصاص بفخرها وان كان لم يتمكن من اتمام مشروعه فيها وصار على يد غيره تمام امرها لانهُ اول رافع لسترها والمستخرج لها من خدرها .
وقد انعقد الاجماع الاوربى على ان الشاب شمبليون هو اول من استخرج الحروف الهيروغليفية من كنز حجر رشيد المكنون ولم يذكر احد من الكتاب فى هذا الباب وامامهم حضرة الفاضل مفتش الآثار اسم المعلم يونج الانكليزى الذى اختص بذكره جناب الافندى واصف بانه اول من استخرج بعض الحروف الهجائية الذى كان من الوجوب على الكتاب بمقتضى ذلك ان يطنطنوا بذكره بين الملأ الانسانى وان يختص بالشهرة دون شمبليون بل نفس هذا الافندى واصف موافق لما اتفق عليه سائر الكتاب فى هذا الباب من ان شمبليون وحده هو الذى

فتح ابواب هذا الكنز المدفون وهو المشهور عند الجمهور ، بناء
عليه صار هو صاحب الامتياز وصارت دولته الفرنساوية هى
المختصة بادارة دائرة الانتيكات المصرية كما هو مقتضى القوانين
الاوروباوية بل قوانين سائر الاصناف البشرية فاشتملت هذه
النقطة على خرق الاجماع والتناقض ومخالفة الحس

النقطة الخامسة قوله ثم بقى عليه مسئلة معضلة وهى معرفة اللغة
اذ لا يفيد النطق بالالفاظ مع جهل المعنى فاقول ان اراد بالنطق
الذى نسبه لشمبليون هو نطقه بذات لغته الفرنساوية لهذا لا
يصح لان السر فى الالفاظ للعهد الذكرى فهى الالفاظ
الهيروغليفية التى هى لهجة القدماء الواضعين لتلك النقوش
ولا يمكن لفرنساوى اصلى ان ينطق بلفظ عربى على اصله فان
هذا من اعظم المستحيلات اذ ليس للفظ معنى سوى ما يخرج
من الفم من الاصوات المشتملة على الحروف المعتمدة على المخارج
فاذن وجب ان يكون مراده ان شمبليون نطق بلهجة القدماء
الواضعين للحروف البربائية والنطق بلهجة قوم يستحيل على
غيرهم الا بالتلقى مشافهة عنهم كما سنبينه لك اوضح بيان ونقيم

عليه اقطع برهان ونورد على نظرك الشريف هنا مثالاً محسوساً تعجيلاً للفائدة قبل ان ندخل فى تحقيق المسئلة وهو هذا الاخرس ممنوع النطق بلغة قومه من اصل خلقته يظن الجاهلون انما امتنع من النطق لآفة فى لسانه والامر على خلاف هذا الظن وانما كان السبب فى امتناعه من النطق هو عروض آفة فى آلة السمع ابطلت الجهاز السمعى وعطلته عن سماع الاصوات فلذا لايستطاع ان يلفى بلغةما من اللغات ، ألا ترى كثيراً قد عرضت على آلة سمعهم آفة حال الكبر بعد ما كانوا ينطقون ولا يزالون ينطقون . هذا شيخ الاسلام وتاج العلماء الاعلام بثغر دمياط الحبر العلامة استاذنا السيد محمد الخضرى وكان انجح علماء الازهر نطقاً وقد عرضت على آلة سمعه الشريف آفة منعته من سماع جميع الاصوات ولو عظمت ولم تؤثر على نطقه الفصيح شىء ويخاطبه الناس بالكتابة والاشارة التى تعلمها حال صغره . وايضاً ألاترى ان الطفل نشأ على لغو مربيه من نحوابويه وذلك بسبب ملاغاته وتدريبه من مبدأ الطفولية عليه فالانسان انما هو ناطق بالقوة وكاتب

بالقوة وقداختصه الله بكمال الاستعداد لقبول النطق والكتابة
دون سائر انواع الحيوان بيد انه لا بد لنطقه وكتابته بالفعل
من التدريب والتعليم بواسطة السماع فى الاول والنظر او
اللمس فى الثانى وحيث ان ارباب هذه اللغة الهيروغليفية قد
انقرضوا قطعاً فمن المستحيل ان ينطق بها سواهم من تلقاء نفسه
طبعاً اما معرفة حروف هجايتها بالكتابة فممكن بواسطة مقابلة
اسم مرقوم فى الخط المجهول بنفس هذا الاسم فى خط معلوم
بشرط ان يقطع المطلع بان ترتيب حروف الاسماء فى كافة
اللغات شىء واحد لا يتغير فاذا رأى اسم بطليموس بين قوسين
فى خط يعلمه وفوق هذا الخط خط مجهول فيه لفظ مرقوم
بين قوسين ايضاً وقد اصطلح ارباب هذا الخط المجهول على
ان يصوّر حروف هجاية لغتهم بصور حيوانات مثلاً فالباء صورة
عصفور والطاء صورة بطة واللام صورة بلشون والياء صورة
ديك والميم صورة حوت والواو صورة ثعبان والسين صورة
طاووس وجاء رجل عربى فنظر فى الخط الى لفظة بطليموس
بين قوسين وهذه الصور السبع موضوعة أيضاً بين قوسين

فى خط فوقه مجهول ودقق النظر عرف ان هذه الصور
علامة الحروف التى فى المعلوم فلو رأى فى الخط المجهول المنفرد
فى رقعة اخرى صورة عصفور فصورة بطة فصورة بلشون
ينطق بها كلمة بطل بلغته العربية فقط أو بطة فبلشون فطاووس
فحوت فانه ينطق بها بلغة طلسم وهلم جراً ويجب التنبيه للنبيل
النبيه على ان يستخرج الحروف المجهولة بهذه الطريقة كتابة
هو غير قطعي الثبوت مثل أن يأخذها مجاية ولهجة من اربابها
مباشرة ولو كان يقطع بان اصطلاح اللغتين واحد فى وضع الترتيب
بحيث يقطع بان ارباب هذه اللغة يضعون الباء اولاً ثم الطاء
وهكذا وانما قلنا انه مع ذلك فهو غير قطعى لاحتمال ان الاسم
الذى وضع بين قوسين اسم ملك آخر اذ يجوز العقل ان الكهنة
كتبوا خطاً باللغة البربائية فى وصف الملك الذى كان فى وقتهم
بين قوسين وكان اسم الملك سوريد فجاء من بعدهم من لا يعرف
سوى اللغة الديموطيقية فكتب تحته خطاً يمتدح به الملك
منفيس ملك وقته وجاء رجل يونانى من حاشية بطليموس
الاول ووضع خطاً تحت الديموطيقى معظم فيه ملكه ووضع

صوتير بين قوسين فجاء الف شمبليون من الفرنساويين ومعهم الف يونج من البريطانيين فانهم جميعاً يجمعون على ان اليونانى المعلوم هو مضمون الديموطيقى وهو مضمون البربائى ويأخذون فى مقابلة حروف هذه الاسماء الثلاثة فتقع السين من سوريد صادا من صوتير والراء من سوريد تاءً منه والدال من سوريد راءً من صوتير فيقعون فى خبط عظيم وخطأ جسيم ويسيرون على ذلك فى التعليم ويقطعون بانهم عرفوا الكلام البربائى القديم فيجب على كل عاقل ان لا يقطع بلغة مجهولة الا بالتلقي مشافهة عن اصلها ومعرفة اوضاعها فى حروف هجائية ولله در حضرة الفاضل النجيب مفتش الآثار المصرية حيث عبر فى هذه النقطة بقوله حتى كملت له الحروف الهجائيـة المصرية اي لشمبليون فقال فى نفسه ما فائدة الكتابة ان لم اعرف اللغة نفسها الخ . فجعل نتيجة اجتهاده الابتدائى معرفتـه الكتابة لا النطق كما توهمه الفاضل واصف بيد انه جعل نتيجة اجتهاده الانتهائى معرفة اللغة نفسها وليس الا النطق بها لهجة وانى لأطلب العدل من أُولي الفضل والاعتراف من ذوي الانصاف لو ان اعقل

عاقل فى الدنيا يمكث الف سنة متتبعاً حروف هجائية لغة انقرضت اربابها ومالها من الاشكال والاشارات المختصة بها هل يمكن لذلك العاقل ان يعرف هذه اللغة نفسها فينطق بها من نفسه بدون تلق ممن يعرفها مشافهة من اربابها بل يقطع بمعرفة اوضاع حروفها هجاية من غير الواضعين لها؛ لا اظن اقل عاقل فضلاً عن فاضل يجيبنى بان هذا ممكن فان قلت ان حكمك باستحالة تعلم لغة مجهولة لهجة وتعسر معرفة كتابتها هجاية من غير اربابها هو مسلم قطعاً اذا كانت اللغة المجهولة مباينة كل التباين لسائر اللغات المعلومة لهجة وهجاية اما اذا كانت مقاربة لبعض اللغات كما هو مقرر فى موضوع رسالتنا فالحكم باستحالة تعلمها من غير اربابها لهجة وتعسر معرفة كتابتها هجاية غير مسلم . قلت ان حكمكم على اللغة الهيروغليفية بالمقاربة لبعض اللغات المعلومة لهجة يجب ان يسبق هذا الحكم تصور هذه اللغة لان الحكم على الشىء فرع عن تصوره قضية واجبة اجماعاً من سائر عقلاء العالم وطريق تصور هذه اللغة انما هو السماع من اربابها وقد انسد عليكم طريق السماع

بانقراض اربابها بالاجماع فصار حكمكم عليها بالمقاربة من المحال
فثبت الحكم باستحالة تعلمها لهجة واما دعوى مقاربتها لغيرها
هجاية فالحس اكبر شاهد على بطلانها فهذه الحروف البربائية
مشاهدة بالابصار لجميع الناس على البرابى والاحجار بصورة
طيور وحيوانات ولا شيء من سائر اللغات المعلومة بتلك
الصور والهيئات فبطلت مقاربتها لغيرها من اللغات على ان
المقاربة لا تقتضى معرفتها لهجة بالمقاربة تلكمُ اللغة الحاوية
حروف هجايتها هى حروف هجاية اللغة العربية وهى مباينة
كل التباين فى اللهجة تكاد ان تكون اصواتاً مجردة عن
الحروف المعتمدة على المخارج بل اقول تلكمُ اللغة العربية
متحدة مع اللغة التركية لهجة فى اكثر العبارات وهجاية فى
وضع الحروف والكلمات فهذه كلمة جال فى العربية فعل ماض
من الجولان وهو تردد الفارس فى الميدان والفكر فى اقامة
البرهان فلو ان عربياً وجد خطين خطاً اعلا بالتركية وخطاً
تحته بالعربية وفى كل من الخطين كلمة جال [1] متكررة وهذا

---

(١) جال معناها بالتركية أقبل أو تعال

العربى لم يعرف اللغة التركية ولم يسمعها لهجة ولم يسبق له ان
يرى وضعها هجاية وقام وقاس الأولى على الثانية بمقتضى نظره
وقدح فكره من رؤية كلمتين متحدتين وضعاً فطفق يقارن
اللغة التركية بحروف اللغة العربية لا ريب فى انه يعتقد اعتقاداً
جازماً بانه وصل الى معرفة حروف اللغة التركية هجاية وان
النطق بها هو عين النطق بلغته لهجة ويفهم قطعاً ان معنى جال
التركية هو عين معنى جال العربية فيجعل جميع الخط الذى فيه
كلمة جال العربية هو عين مضمون الخط الذى فيه كلمة جال
التركية فيقع فى هاوية الخطأ التى لاقرار لها ، فكل لغة خصها
الله بصنف نطق بالطبع وهجاية اختصوا بها اصطلاحاً فى الوضع ولقد
اجتمعت بعلماء من قطر سبيريا التى هى نهاية المعمور الشمالى من الكرة
وبعضهم كان ذهب الى دار الخلافة العظمى حال صغر سنه جداً
مع ابيه فتركه مدة من السنين حتى تعلم اللغة التركية على اصلها
وكذا العربية باعرابها وكان يخاطبني بها ففلتت من لسانى كلمة
«بدي اروح عزومة تفضل معي» فقال لى مافهمت ماتكلمت به
فقلت لابد لى من الرواح الى وليمة وضيافة وادعوك ان تسير

معي اليها ، فقال ما تلك اللغة ؟ قلت لغة عوام المنسوبين الى العرب
ثم اهل سيبريا وقد سمعت لغتهم مع بعضهم فاذا هى كصوت
الهواء فى شجر الاثل او وش الحرير الحبر ليس لها حروف متميزة
فى بعضها كما نسمعه من لغات غيرها

النقطة السادسة قول هذا الافندى واصف فما زال يطابق
الثلاثة خطوط المرسومة على حجر رشيد على بعضها الى ان استخرج
بعض علامات اخرى وهكذا سلك طريق الترقي من المعلوم
للمجهول حتى ابتدع فى الكتابة المصرية القديمة المعروفة بالبربائية
والهرمسية وألف فيها اجرومية شبيهة بالاجرومية القبطية وقاموساً
لهذه اللغة ومع كل فلم يسلم من سهام النقد والتنديد حيث خطأه
كثيرون من العلماء انتهى. وهذه النقطة موافقة لمضمون ماسطره
جناب الفاضل النجيب مفتش الآثار فى قوله (وقارن الاسماء
ببعضها الى ان انفتح له مغلق الباب فكتب له كراسة اودعها
الحروف الابجدية وبعض الصور المقطعية وعرضها على علماء
اوربا فاكبروه وكانوا بين مصدق ومكذب) انتهى. فضمير
المفعول فى اكبروه راجع الى هذا الاستكشاف والعمل الذى

لم يسبق به هذا الشاب شمبليون الصغير سناً واطلاعاً والحال
قد بقى لديهم هذا الحجر تقريباً من عشرين سنة قبل ان يكون
شمبليون من ابتداء العثور عليه الى ظهور هذا الشاب يدعي
هذا الادعاء العريض فهم اكبروا العمل واستعظموه على مثله
وهؤلاء العلماء متعاقبون عليه الواحد بعد الآخر فما استطاعوا له
حلاً هذا معنى قول الفاضل النجيب فاكبروه أي استعظموا
هذا العمل على هذا الشاب ولا يصح رجوع ضمير المفعول فى
اكبروه لشمبليون لانه مناقض مابعده من قوله وكانوا ما بين
مصدق ومكذب لان الواو فى اكبروه واو جماعة هؤلاء
العلماء جميعاً قطعاً فيكونون جميعاً اكبروا شمبليون اى احترموه
غاية الاحترام لان من اكبر شخصاً فقد اعطاه الدرجة العليا فى
الاحترام ولا يصح ان يقول اكبروه وكانوا بين مصدق
ومكذب لان من كذب شخصاً فقد انزله فى الدرجة السفلى
من الاحتقار والمكذب له لابد ان يكون هو الاكثر كما صرح
به الفاضل واصف لانهم نظروا فوجدوا ان قطب مدار
استكشافه لهذه اللغة انما هو كان التفرس وقياس المجهول على

المعلوم بالتأمل فى الاشكال والخطوط والاشارات التى على
الآثارات كما قرره نفس شمبليون فى كتابه وترجمه لى منه ذلك
الفاضل الاول الفاتح لهذه المناظرة وحينئذ فيكون ما جاء به
الفاضل الاول من ان شمبليون لما عرض استنتاجه على علماء
القسس العارفين باللغات القديمة انما هو من تلقاء نفسه لانه
ضد ما ترجمه وسطره هذان الفاضلان : الفاضل النجيب
مفتش الآثار فصدقوا عليه والفاضل واصف من علماء اوربا
كذبوه وخطأوه لا صدقوه وصوبوه ولانه ما جاءبه الا بعد
ان طوى الكتاب ورددت على عبارته بان ذلك لا يثبت قطعاً
الا بالتلقى شفاهاً من اربابه كما سبق ولكن كثيراً من الذين
تباحثوا معي فى هذا الموضوع عقب مباحثتي الاولى مع
الفاضل الاول وقبل اطلاعى على الكتابين الجاليلين الاثر الجليل
واتحاف العصر قالوا مثل ماقال الفاضل الاول ان شمبليون
لما عرض صنيعه على علماء القسس الكبار العارفين صدقوا عليه
وبناء على ذلك جزمت بان دليل شمبليون مركب من
جزئين الجزء الاول هو الاجتهاد الفكرى والامعان النظرى

فى الخطوط والاشكال ومقاربة الاسماء وقرائن الاحوال وتتبع
الاشارات من المنقوش على الاثارات وتعلم اللغات الشرقية
وعلى الاخص القبطية والجزء الثانى الاهم الذى لو سلم لكان
اتم وهو تردد شمبليون على علماء القسس العارفين باللغات
القديمة كالقبطية واليونانية الاصلية فصادقوه على ذلك كما
اكده لى الفاضل الاول المجادل وصادقه على ذلك كثير من
امثاله الافاضل فالتزمت وقتئذ بان اجعل لكل جزء رداً
ونقضا بخصوصه وكانت تلك المناظرة قبل اطلاعى أيضاً على
كتاب حسن المحاضرة فلما يسر الله تعالى الكريم لى بكتاب
حسن المحاضرة من جهتي وبالكتابين الجليلين الاثر الجليل
واتحاف العصر من جهة الهيروغليفيين المعارضين فنقلت عبارات
الكتب الثلاثة فى صدر المبحث كما ترى واتيت بعدها باكثر
ما كنت سطرته سابقاً وزدت على الاصل بحسب ما اقتضاه
سياق الكتابين المذكورين من انتقاد النقط التى فى مقالة
كتاب الاتحاف كما رأيت وها هو الرد الاصلى على خصوص
الجزء الاول من دليل الهيروغليفيين اسرده على شريف مسامع

ناصر الحق المنيف ليحكم بالحق فى حقيقة استكشاف شمبليون
لقلم الهيروغليف فأقول ومن الله القبول :

اعلموا أيها السادة الانصار أولو الابصار جعلنا الله جميعاً
على هداية واستبصار ان كافة العلماء بل سائر العقلاء أجمعوا جميعاً
على ان اسباب العلم الموجب للقطع بثبوت شىء مجهول ثلاثة :
اولها الحواس الخمس الظاهرة وهى السمع والبصر والشم والذوق
واللمس وثانيها الخبر الالهى السماوى وثالثها التواتر، اما الحواس
الخمس الظاهرة فأمر القطع بما يدركه اخذها امر بديهى غير
محتاج لبيان ولا لاقامة برهان واما الخبر الالهي السماوى فهو
الخبر الصادق الصادر عن الله عز وجل على لسان رسول من
رسله الكرام عليهم افضل الصلاة واتم السلام كالتوراة والزبور
والانجيل والقرآن وهي الكتب الاربعة المشهورة التى شهد
بنزولها الثقلان ومرجع هذا السبب انما هو الحس الظاهر لان
الطباع البشرية تقضى بادئ بدء بعدم القبول لما جاء به من
عند ربه هذا الرسول لعدم ملاءمته لمقتضيات الطبائع البشرية
من الميل الى الامور الشهوانية واراحة النفوس من التقييد

باحكام شرعية وتعنيفها باجراء اعمال تكليفية فيصير فى نفور كبير مما جاء به هـذا النذير فاذا شاهدت منه المعجزات الظاهرة والبراهين الباهية الباهرة التى ليست فى مقدور اى فرد من افراد البشر كانقلاب البحر وخلق الطير وانشـقاق القمر ايقنت نفوسهم بان هذا لا يكون الا من خالق القوى والقدر وعند ذلك استسلمت اليه وقطعت بصدق هذا الخبر وتقيدت باسر التكليف خوفاً من التخليد فى العذاب العنيف فظهر ان طريق القطع بخبره انما هو الحس ايضاً واما التواتر فهو الخبر الصادر عن جم غفير يمتنع تواطئهم على الكذب بشهود شىء الى قوم لم يشهدوه كما يبلغنا الآن ان على كرة المسكونة مدينة عظيمة تسمى بريتوريا [١] مثلاً ونحن ما شهدناها بالابصار فلما نقطع بوجودها مع عدم مشهودها لسماعنا وشهودنا من شاهـدها من هـذا الجمهور الذى يستحيل عقلاً تواطئه على الكذب وهذا الثالث أيضاً مرجع

---

(١) وهى عاصمة الامة الترنسفالية المطالبة بحقوق الاستقلال متعنا الله واياهم به

القطع به الى الحس الظاهر فكان الحس هو السبب الوحيد للقطع بكل امر ثم التواتر المعتبر طريقاً للقطع انما هو التواتر الذى لم يناقضه دليل قطعى او نقلي وبه يكون وصول سائر الشرائع الحقة الصادرة على أيدى الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام الى طبقات الامم المتأخرة فى كل زمان وام هذه المسائل التى طريقها التواتر المعتبر مسئلة القطع بلغة صنف من اصناف البشر قد انقرضت اربابها الاولون فانه يجب ان يكون بواسطة تواتر سماعها من أربابها وانما كانت هذه المسئلة هى أم مسائل هذا الموضوع وأهم مسئلة فيه لانه ينبنى عليها فقط الشرائع التى هى اساس التمدن والعمران لحفظ افراد نوع الانسان من تعدى الحد وسلب الاموال وقتل النفوس حتى لايبقى على المسكونة أثر لفرد من افراد نوع البشر ولهذا قيض الحق تبارك وتعالى علماء صدر كل ملة من الملل الحقة للمحافظة على اللغة التى نزل كتاب دينهم بها وتلقاها عنهم الجهابذة الذين اخذوا عنهم الشريعة ودونوها وان اعظم علماء الشرائع الحقة واشدهم محافظة على اللغة هم علماء الشريعة الاسلامية

الغراء فانهم بذلوا غاية الجهد فى المحافظة عليها بتدوينها وضبطها
بكتب وضعوها لحفظ المفردات كالقاموس المشهور بين جمهور
سكان المسكونة وتصانيف صنفوها بوضع قواعد لضبطها
كالعلوم العربية المعلومة التى من اهمها فن الصرف والنحو وكان
ذلك فى صدر الاسلام من نفس فصحاء العرب واجلاء علماء
الصحابة الاعلام بمجرد ما استشعروا بانه سيقع تغيير فى تعبير
الناس للغة العربية الاصلية بسبب اختلاطهم بغير صنفهم من
انتشار العرب فى بلاد العجم وبالعكس ورأوا كما كثر الاختلاط
انحرفت الالسن وكثر التغيير فى التعبير على غير قانون اللغة
العربية فقام امير المؤمنين ابن عم سيد العالمين سيدنا الامام
على ابن ابى طالب كرم الله وجهه برجاء الامام ابى الاسود
الدؤلى وذلك لما سمع من ابنته تقول له يا ابتى ما أحسن السماء
برفع احسن وجر السماء فاجابها بقوله نجومها فقالت انى
اردت ان اتعجب من حسنها فقال قولي ما احسن السماء بنصب
الكلمتين ثم قام مهرولاً للامام امير المؤمنين سيدنا على ابن
ابى طالب كرم الله وجهه وقال يا امير المؤمنين نخشى ان تضيع

اللغة العربية فيضيع الكتاب المجيد وتضيع السنة السنية فيضيع الدين بضياعها فضع لنا قواعد تحفظه فوضع الامام بعض القواعد واعطاها للامام ابى الاسود وقال انحُ نحو هذا يا ابا الاسود فتمم القواعد وسمَّى ذلك نحواً لمقالة الامام له انح نحو هذا ثم قام ايضاً حبر الامة ابن عم نبى الرحمة ترجمان القرآن الامام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ووضع تفسيراً على القرآن واوضح ما فيه من الالفاظ الغريبة وأخذ الصحابة يتسالون من بعضهم عن كل كلمة تخفى على البعض من العارف بها ودونوا ذلك جميعاً واتت لهم طبقة التابعين وعلمائهم واخذوا عنهم اللغات العربية من افواههم غير مكتفين ولا قانعين بلغة انفسهم اذ كانوا أيضاً من العرب المطبوعين على اللغة العربية خشية ان يكون قد اصاب السنتهم ما اصاب ابنة الاسود الدؤلى من اختلاطهم بالاعاجم ثم دونتها الطبقة الاولى من التابعين عن الصحابة وجاءت الطبقة الثانية طبقة تابع التابعين الطبقة التى كان فيها الامام الجليل العربى القرشى الاصيل الامام الشافعي رضى الله عنه وكان افصح قرشى قد بقى من قريش فى زمانه

فاخذت هذه الطبقة الثانية عن الاولى وما زال ذلك يؤخذ بالتواتر طبقة عن طبقة بالتلقى مشافهة مع ما وضعوه وصنفوه من العلوم العربية المشهورة التى منها فن النحو والصرف لخدمة اللغة والمحافظة عليها وضبطها مادة وصورة وجوهراً وعرضاً ثم قاموا جميعاً بتدوين مفرداتها مفسرة بالكلمات المتداولة فى السن العامة مثلا لفظ قسورة يضعونه ويكتبون بانذائه هو على وزن سنطره اسم من اسماء السبع فلو ان عاتباً عرف ذلك وسمع قوله تعالى (حمرٌ مستنفرة فرت من قسورة) لادرك معنى الآية بل لم تقتنع بعد ذلك كله علماء الملة حتى وضعوا فن التجويد لحفظ اداء اللغة الاصلية لهجة كما هى بلهجة طبيعة اربابها الاول الذى نزل القرآن المجيد بلسانهم العربى المبين فبينوا فى هذا الفن مخارج الحروف التى فى الفم قد جعلها الله كالآلة للنطق بها ثم ما يلزم لكل حرف من تفخيم أو ترقيق أو غَنّ أو عدم غن أو مد او قصر وهكذا بحيث لوكان انسان عنده ملكة الفهم وطالع كتاباً فى فن التجويد لأدى قراءة القرآن على وجهها الواجب لها بدون

استاذ ومع ذلك لم يبيحوا ذلك لاحد اصلاً بل اشترطوا
على كل قارئ ان يتلقى القرآءة على استاذ عالم بفن التجويد
بشرط كون ذلك الاستاذ جامعاً لشروط التعليم ثم لا بد
وهو اهم الشروط ان يكون متلقياً ايضاً عن استاذ جامع
لشروط الاستاذية فى فن القرآءة التى اهمها التلقي مشافهة طبقة
عن طبقة بالتواتر المعتبر الى ذات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
ثم لا بد وان يفعل ذلك الاستاذ مع من يتعذر او يتعسر عليه
النطق باشمام حرف فى رواية الاشمام بان يمسك بالابهامين
والسبابتين شفتى التلميذ ويضمهما ويرسلهما بسرعة كما كان
يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بعض اصحابه الذين
لم يكونوا من اهل القبيلة التى قد طبعت على لغة الاشمام ولا
زال ذلك جارياً من الاساتذة حتى الآن ولا يكتفون بتعريف
الاشمام باطباق الشفتين بعد سكون الحرف من غير صوت
الا لمن سهل عليه النطق به مثل ما ينطق له به استاذه ولو ان
عالماً فى جميع العلوم سوى علم التجويد بل ولو كان أعلم وقته
فى جميع العلوم حتى علم التجويد بدون ان يتلقى القرآءة شفاهاً

لا يجوز الاخذ عنه اصلاً فانظروا ايها المستعيرون كيف كان
طريق القطع باللغة العربية وكيف كانت المحافظة على القرآن
المجيد المنزل بها فاذن يجب ان يكون القطع باللغة الهيروغلفية
على تلك الكيفية فيلزم اولا ان يعلم بطريق التواتر ان اهل
هذه اللغة قد دونوها بانفسهم اولا ثم فسروا الفاظها الاصلية
بالفاظ متداولة من جنسها عند العامة كما حصل فى اللغة العربية
وسبق لك تقريراً وتقريباً بمثال اسم السبع ويلزم نقل ذلك
بطريق التواتر من ابناء هؤلاء القدماء المدونين لها طبقة عن
طبقة حتى وصلت الى من ترجمها وفسرها من غير ابناء صنفهم
ثم يجب ان يكون ذلك الغير المترجم والمفسر لها قد تلقى تلك
اللغة وتعلمها مشافهة عن علماء ذرارى اربابها المطبوعين على
لهجتها والواضعين لحروف هجايتها حتى يتمكن من صحة ترجمتها
وتفسيرها بلهجتها وحروف هجايتها كما فعل العلامة فيروزبادى
فى قاموسه المشهور وامثاله من الاعاجم المغايرين لصنف العرب
فى اللهجة والعبارة دون حروف الهجاية لان حروف الفارسية
والتركية عين الحروف الهجائية العربية وليس بينها الا فرق

يسير فى النقط لبعض الحروف لا فى صورة الخط ثم يجب
ايضاً بقاء بقية من ذرية هؤلاء القدماء ارباب اللغة القديمة
الاصلية الواضعين لها ولا بد وأن يكونوا علماء حافظين لها على
اصلها قبل تغير السنتهم وانحرافها باختلاطهم مع غير صنفهم
المباين لهم فى لهجتهم آخذين لها عن اجدادهم الاولين مشافهة
بالتواتر حتى لو اخطأ هذا الغير المترجم فى معنى كلمة أو تصريفها
مثلاً تبينوا خطأه وبينوه للعامة حتى لا ينتشر بالخطأ فيضر بهم
ضرراً كبيراً كما وان ذلك موجود مشهور فى كتب اللغة
العربية كالقاموس وجميع هذه اللوازم مفقودة قطعاً في دعوى
القطع بثبوت اللغة الهيروغليفية واذا كانت تلك اللوازم مفقودة
قطعاً امتنع القطع بثبوتها اما فقدان اللازم الاول الذى عليه فى
اثبات المسئلة المعول وهو أن يعلم قطعاً بأن أهل هذه اللغة قد
دونوها ثم فسروها الى آخره فامر بديهى محسوس لا يحتاج
الى برهان ومن ادعى ثبوته فعليه البيان ويبرز لنا كتاباً قديماً
بحروف هذه اللغة مفسراً ويقرأه ويفسره علينا رجل يثبت
لنا بطريق التواتر انه أخذ هذا الكتاب وتعلم هذه اللغة شفاهاً

عن نفس أربابها الاول الناطقين بلهجتها طبعاً والناقشين لهجايتها وضعاً وهذا معقود قطعاً فثبت انتفاء اللازم الاول جزماً واذا انتفى اللازم الاول انتفت سائر اللوازم بعده لانها متفرعة عليه واذا انتفت جميع اللوازم امتنع القطع بثبوت اللغة الهيروغليفية قطعاً فان قلت ان هذه اللوازم التى اشترطها علماء الاصول لم تستجمعها جميعا لغة قط من جميع اللغات الا اللغة العربية فقط ولذا صار القطع بها اجماعاً من كافة عقلاء العالم باسره وأما سائر اللغات المتداولة على السن اصناف البشر فلم تستجمع جميع هذه اللوازم قطعاً ومع ذلك فانها مقطوع بها عند اربابها الناطقين بلهجتها طبعا والعارفين بهجايتها وضعاً وكذا عند غيرهم الاجنبي منهم فلا يتحرى ذلك اذا اراد الاخذ عنهم لان ذلك صار أمراً طبيعياً فى عموم البشر قلت ان وجود ذرارى ارباب هذه اللغات الناطقين بها مثل آبائهم خلقة والناقلين لحروف هجايتها عنهم صنعة كاف فى القطع بها فلو نطقوا بها محرفة عن اصلها وملحونة وان كان لايجوز الاخذ عن هؤلاء العامة الآخذين فى لغتهم صناعة وان اطلق عليهم فى العرف العام انهم اربابها

فالحجازيون واليمانيون والمصريون والشاميون والمغاربة القريبون
غير المتوغلين فى اواسط افريقيا واطرافها الغريبة البعيدة عنا
يقال عليهم فى العرف العام انهم عرب لانهم لا ينطقون بمثل
الفارسية بل هم قريبون من العربية بالنظر للحقيقة فهم كالاعاجم
قطعاً ولا يمكنهم النطق بالعربية الحقيقية طبعاً الا اذا كان
بالتعليم كالاعاجم الاصلية ومع ذلك لا يجوز اطلاق اسم الاعاجم
الاصلية عليهم لانه من المعلوم قطعاً ان هؤلاء هم ذرارى ارباب
اللغة العربية واما كلامنا ففروض فى لغة قد انقرضت اربابها
وانقطعت اسبابها قطعاً ولم يبق من صنفهم احد ينطق بها
طبعاً لا صحيحة ولا فاسدة ثم ولا سبب قطعى يوصلنا الى
معرفتها الا وهى اللغة الهيروغيلفية فانها لا تثبت قطعاً لانقراض
اربابها وانقطاع اسبابها فان قلت هلا جعلت ما ابديناه لك من
استكشاف الفاضل شمبليون سبباً ودليلاً الى معرفة اللغة
الهيروغليفية معرفة موضوعة فى مرتبة الظن بعد نزولها عن
مرتبة القطع واليقين بما ظهر للناظرين من ساطع هذه البراهين
قلت نعم يمكن بالنسبة لغير مسئلة تاريخ بناء الهرمين الكبيرين

اللذين هما موضوع هذا البحث وهذه المناظرة اما هما فلا
اقول انه يوضع فى مرتبـة ما من هـذه المراتب حتى مرتبة
الوهم بل لا يعتبر ايضاً فى غير مسئلتنا من الاعتماد عليه عند
العامة فى افادته بعض الاخبار المتعلقة ببعض الآثار اعتماداً فى
مرتبة الظن الا اذا نظرنا الى هذا الدليل نظراً بسيطاً سطحياً
واما اذا حللناه تحليلاً كيماوياً وشرَّحناه تشريحاً جراحياً فلا
يوضع فى مرتبة ما من مراتب الادراك الا ان يوضع فى مرتبة
الوهم وذلك لان دليله مركب من جزئين الجزء الاول قوله
انه لما وجد خطوطاً يونانية تحت الخطوط الهيروغليفية وفى
كل من الخطين كلمات متكررة استنتج بفكره انه لا بد وان
يكون الخط اليونانى المعلوم وضع ترجمة وتفسيراً لهذا الخط القديم
المجهول لسبب تكرار كلمات فى كل منهما والجزء الثانى الاهم
الذي لو تم لكان عليه هو مدار الاستكشاف الاتم هو رجوعه
الى كبار قسس وقته العارفين باللغات القديمة المشهورة كاليونانية
والعبرانية ثم اجرى البحث والفحص معهم حتى تم الامر
واسطة ما عند هؤلاء القسس من اللغات المعهودة واخذ بعدها

يجتهد بنفسه فى توضيح هذه اللغة المجهولة حتى نظمها فى سلك
عقد اللغات المتداولة المعلومة هذا تحليل هذا الدليل اما الجزء
الاول فلايفيد الفكر شيئاً من مبادئ الدعوى سوى ان هذه
خطوط معهودة وجدت تحت صور طيور وحيوانات منقوشة
يمكن لبعض الافكار ان يظن ان هذه النقوش خطوط اصطلحت
عليها القدماء واما سائر الافكار فلايخطر بها هذا الامر لمباينته
كل المباينة للخطوط المعهودة هيئة وصورة وليس فى الخطوط
المعلومة تصريح بانها وضعت لبيان حروف هذه الخطوط
المجهولة التى فوقها بقولهم فيها هذا حرف الف مثلاً مشيراً
للخطوط التى فوقها او يجعل كل كلمة من الخط المجهول بين قوسين
ويضع لكل حرف منها حرفاً تفسيره بازائه بالخط المعروف
كما هو المعلوم المتفق عليه عند كافة العقلاء او بالاقل يكون فى
الخط المعلوم معنى صريح بانه ترجمة لحروف الخط المجهول
وحينئذ يمكن لصاحب الفكر الثاقب ان يهتدى بالمعلوم الى
المجهول نوعاً من الاهتداء الصائب نعم لو كان عنده علم قطعي
بأن اصناف الافراد البشرية بأسرها اتفقت على وضع الاعلام

الشخصية وضعاً واحداً لا تغير فيه من جهة ترتيب حروف هجائية وعلى تمييزه بصبغة زائدة عن الخطوط التى يقع فيها من وضعه بقلم مجوف مثلاً او ملون مداد يخالف سائر الكلمات اللاتى معه اووضعه بين قوسين فأقول انه يمكن لصاحب الفكر الصائب معرفة حروف هذا الاسم فى خط يجهله من خط معلوم له وضع فيه هذا الاسم مثلاً رأى ادريس فى خط عربى بقلم مجوف اومداد مغاير لسائر كلمات الخط العربى وهو لا يعرف اللغة العربية رأساً لا هجاية ولا لهجة ثم رأى تحته خط يعرفه انه ادريس لكن يستحيل ان ينطق به من نفسه اذ لا بد من سماعه من اهله ثم منه ينتقل الى معرفة لفظة درس وسدر اذا رآها ضمن كتابة عربية لكن بدون ان يعرف معناها او ينطق بها الا بمعلم وبغير ذلك لا يستفيد الفكر شيئاً ولقد اطلعت على كتابات كثيرة فى خصوص موضوع هذه المسئلة فلم اجد فيها ما يدل على ان الكتابات التى عثر بها شمبليون وغيره قد وجدوا فيها تصريحاً او تلميحاً ان الكتابة المعهودة فيها بيان حروف الكتابة المجهولة اومعنى صريح بان ما فى المعلومة ترجمة

لحروف الكتابة التى فوقها كما ترجمه ايضاً لى هذا الفاضل من
نفس كتاب شمبليون كما اوضحناه ثم نعود للجزء الثانى الذي كان
عليه مدار استكشاف شمبليون اللغة الهيروغليفية وهو رجوعه
الى قسس وقته الروحانيين واجرى شدة البحث وغاية الفحص
معهم حتى ايقن بواسطة ما عندهم وجزم بان اللغة اليونانية
التى تحت الهيروغليفية انما وضعت تحتها ترجمة لها فاقول وجب
اذن ان يكون هؤلاء القسس الروحانيين قد اختصوا بمعرفة
هذه اللغة الهيروغليفية معرفة تامة وكذا اليونانية الاصلية دون
من سواهم من كافة العامة ووجب ان تكون تلك المعرفة قد
تحصلوا عليها بطريق التاقى مشافهة عن امثالهم الذين من قبلهم
وكذلك الذين من قبلهم اخذوها عمن قبلهم من امثالهم
متسلسلين طبقة عن طبقة بطريق التواتر المعتبر حتى وصلوا
الى منبع هذه اللغة الاصلى وهو صنفها المتكلم بها بالطبع العارف
برقوم هجاياتها الدالة عليها بالوضع حتى يتأتى اولاً لهؤلاء
القسس ان يبينوها ويوضحوها لشمبليون لانهم لو كانوا
جاهلين بها لما استطاعوا ان يبينوها ويوضحوها له ضرورة، ان

من لم يعرف علماً يستحيل عليه ان يعلمه لغيره انما اوجبنا ثانياً
ان يكون استحصال هؤلاء القسس على معرفتها بطريق التلقى
مشافهة مع التواتر المعتبر كما هو شأن كل لغة تؤخذ عن اربابها
ليسوغ لشمبليون القطع بها ويقوم ببذل الجهد وضياع نفس
العمر وعزيز النقد فى توضيح تلك اللغة وتنقيح قواعدها
ويأخذ الفخر بين الملأ الانسانى باظهار لغة مجهولة من قرون
متطاولة عليها مدار رحى التمدن العمرانى بنقل اخبار القرون
الاولى ومن مضى من الملوك العاتية وارباب الهمم العالية
وتبسط اليه اكفها ببسط البسيطة بمزيد الشكر والدعاء حيث
بذل كل همة فى خدمة مسئلة جليلة مهمة وههنا النقطة المهمة
التى ارجو عندها قبول الالتماس لتمام الالتفات اليها من ذوي
الهمة وهى لا ريب فى ان طبقة القسس المعاصرين للخليفة
المأمون هى الواسطة العظمى والاستاذ الاسمى فى اللغة
الهيروغليفية وكذا اليونانية بنقلها من الطبقات اللاتى فوقهم
وتعليمها الى الطبقات اللاتى دونهم حتى انتهت الى الطبقة
السفلى المعاصرة للفاضل شمبليون وتلك الطبقة العليا قدترجمت

للخليفة المأمون ماكان منقوشاً على الحجر المغطى به الحوض
الذى وجدوه داخل الهرم الذى فتحوه فوجدوها منبئة عن
نبأ هذين الهرمين قبل الطوفان وقد استدل شمبليون بواسطة
ما ترجمته الطبقة السفلى اليه على ان بناءهما بعد الطوفان فترجمة
الطبقة العليا مناقضة لترجمة الطبقة السفلى على خط مستقيم
فيجب حينئذ ان نقطع بخطاء واحدة من الطبقتين واظن ان
الهيروجليفيين لا يحكمون بالخطاء على الطبقة السفلى طبقة
شمبليون فيتعين الحكم بالخطاء على الطبقة العليا طبقة الخليفة
المأمون فيجب ان تكون جاهلة باللغة الهيروجليفية وكذا باللغة
القديمة اليونانية واذا كانت تلك الطبقة العليا جاهلة باللغتين فمن
أي طريق وصلت معرفة هاتين اللغتين الى الطبقة السفلى وليس
لها طريق سواها البتة وقد انقطعت ولا يمكن للهيروجليفيين
ان يدعوا بانهما وصلتا الى السفلى بطريق الوحي السماوى فان
الوحي قد انقطع أيضاً قبل وجود الطبقة العلياقطعاً انما يقدرون
على ان يدعوا ان هاتين اللغتين وصلتا الى خصوص الطبقة
السفلى من كتاب قديم فى اللغتين مجهول وجدوه مدفوناً مع

احدى الجثث القديمة مصبراً أيضاً محافظة عليه من تسلط الارضة فعرفت منه هذه الطبقة اللغتين اليونانية والهيروجليفية على اصلهما القديم من غير تفسير ولا تحريف لان معارف الافرنج والمتفرنجين باحوال الامم الخالية كلها من هذا القبيل منبعها الكتب المجهولة والجثث البالية فلعلكم راجعتم فكركم الثاقب وارجعتم ذكركم الغائب فقلتم ان كافة العقول لا تقبل تعريف امر مجهول فى فن المنقول الا من استاذ صادق امين وملاذ ثابت متين واما استنباط الفكر من قرائن الاحوال لمعرفة لغة محفوظة او الاخذ لها من كتاب مجهول وكذا الطعن فى الطبقة العليا طبقة المأمون فممتنع الحصول لانها الواسطة العظمى والاستاذ الاسمى لنقل كافة اللغات والديانات الى كافة الطبقات التى تحتها حتى طبقة شمبليون فالطعن فى تلك الطبقة العليا يرفع الوثوق بموضوع كل علم يكون استمداده من النقل وبالاخص اللغات ومع ذلك فالقضاء على تلك الطبقة العليا طبقة المأمون بالخطأ قضاء أيضاً بالخطاء على الطبقة السفلى طبقة شمبليون اذ لا طريق الى وصول معرفتها للغات سوى تلك الطبقة فبقي

التناقض والتدافع الذى ذكرته بين الطبقتين وهو مدفوع اما
بان سند النقل عن المأمون ضعيف لعدم عناية العلماء خصوصاً
الذين كانوا فى صدر الاسلام بمثل هذه الحادثة ومن ذا الذى
تهمه منهم حادثة فتح قبر من قبور الكفار فيتفرغ لضبطها وهو
بصدد تدوين الدين وبيان الشريعة للمسلمين فمثل هذه
الحادثة تترك لجهلة الناس يتصرفون فى روايتها بمجرد الظنون
فقد تكون حقيقة ما استكشفه القسس للمأمون انهما بنيا بعد
الطوفان فيقلبون الحقيقة لجهلهم وعدم ضبطهم وحفظهم بانها
قبل الطوفان ولقد صدق من قال (وما آفة الاخبار الا
رواتها) واما بان الخليفة المأمون لم يتحر كل التحرى ويفحص
غاية الفحص ويبذل غاية الجهد فى طلب الكشف والتوضيح
عن حقيقة منطوق هذه النقوش القديمة ويسدد على هؤلاء
القسس الذين احضرهم لترجمتها فهؤلاء القسس لعدم التشديد
من الخليفة عليهم فى ذلك قد رأوا عدم عنايته بالمسئلة وعدم
أهميتها عنده فتساهلوا فى ترجمة تلك النقوش من غير ان يدققوا
فى كنهها ولا ان يمعنوا النظر فى وجوهها ومن البديهى ان كل

استاذ لو بلغ الغاية القصوى فى العلوم والمعارف وطرحت
لديه مسئلة غريبة لم تكن من المسائل الكثيرة المزاولة مع
غرابة مبانيها وصعوبة معانيها وكانت من العلوم التى تلقاها وهو
تلميذ وعرف اصولها وقواعدها ولكن ذلك الاستاذ لم يبذل
غاية جهده فيها ويجمع شتات فكره عليها ويمعن نظره كل
الامعان اليها بل نظر اليها نظراً بسيطاً سطحياً لابد انه لم يصب
شاكلة الصواب فى فهمها وانه لو أمعن النظر فى وجوهها
واكتشف كنهها لاصاب قطعا فى فهمها على حقيقتها وهذا هو
الاقرب للعقل من الطعن فى النقل لان ابهة الخلافة وعظمة
السلطان تترفع كل الترفع عن توجيه الهمة وبذل الطاقة فى
استكشاف الحقيقة عن هرم هو فى الحقيقة قبر ملك نقطة
ملكه جزء من اجزاء ولاية وال من ولاة هذا الخليفة الاعظم
فان هذا القطر كان مقسماً عدة ممالك على ملوك مستقلة بها
كما ينبيء عنهم التاريخ الاوربى فكيف تنبعث من لدن جلالة
هذا الخليفة الاعظم همة باحضار كبار البطارقة العظام والقسس
الفخام والاحبار الكبار والتشديد عليهم باجراء شدة

الفحص والتدقيق فيها اذ غاية ما يصدر عن مثل جلالة هـذا
الخليفة امر الى والى مصر بأن يأمر احد المتوظفين ان يخبر
عظماء البطارقة والقسيسين بانهم يرسلوا من طرفهم من له
دراية باللغات القديمة ليعرف لنا منطوق هـذه النقوش لعلها
تبين لنا من البانى لهذه المبانى فحضرات هؤلاء البطارقة
العظام يرسلون من قِبَلهم قسيساً كائناً من كان فينظر الى هذه
النقوش نظراً سطحياً من غير تحقيق ولا تدقيق ان كان هذا
القسيس ممن له نوع دراية باللغات واذا كان جاهلاً جاءهم بشىء
كان فى مخيلته سماعاً من الناس يخبر به انه ترجمة تلك النقوش
والحال انه لا دراية له بها رأساً ولا التفت اليها حساً وهذا لا
يوجب الحكم على سائر الطبقة العليا بل ولا على البعض منها
لان قسيساً واحداً جاهلاً بين آلاف مؤلفة عارفين لا يلتفت
اليه اصلا حتى يحكم من اجل هذا الواحد على البعض بكونهم
جاهلين باللغة فأخطأوا فى ترجمة المقتضى ثبوت ذلك ايضاً للسفلى
واما شمبليون فقد افرغ وسعه وبذل طاقته فى استكشاف
المسئلة استكشافاً تاماً فالح على القسس ويمكن انه امال قلوبهم

بكثرة المال حتى تفرغوا للفحص وشدة البحث معه فى استكشاف
حقيقة هذه اللغة حتى وصلوا الى كنهها وكشفوا لثام الخفاء عن
وجهها فاسفرت عن بيان زمن بنيان هـذه المبانى انه كان بعد
الطوفان ولا تدافع بين الطائفتين لعدم الموازنة فى ايقاع الترجمة
من الفريقين فالخلاف بين الترجمتين انما هو فى الشكل لا فى
الموضوع وهـذا لا يمس قداسة قسس كلتا الطبقتين باتهامهما
بالجهل باللغات وحيث اندفعت المدافعة المذكورة بهذا ساغ لنا
اذن ان نحكم برجحان ما جاء به شمبليون فى هذين الهرمين
اللذين هما موضوع البحث والمناظرة من انهما قد بنيا بعد
الطوفان بزمان وان البانى للهرم الاول الملك خوفو والبانى
للثانى الملك خفرع الذى تولى الملك بعده ولم يتمه فى مدة ملكه
وكلاهما من العائلة الرابعة المنفيسية كما تحقق ذلك من معرفة
اللغة الهيروجليفية وانا اقول ان هذه المدافعة التى قررتموها قد
اشتملت على موضوعين لتضعيف جانب ما جاء عن الخليفة
المأمون وتقوية جانب ما جاء به شمبليون وبواحد منهما او
بمجموعهما على ما زعمتم ارتفعت الموازنة بين الترجمتين فاندفعت

المدافعة بين الطبقتين وسلمت قداستهما من نسبة الجهل اليهما باللغتين وانتج ذلك رجحان ما جاء به شمبليون ورفض ماجيء به عن الخليفة المأمون فاما الموضوع الاول وهو سند ضعيف النقل بعدم اهمية تلك الحادثة عند علماء ذلك العصر فمنقوض نقضاً بديهياً . هذا ملك سيام الذى ما كنا نسمع به ولا فى المنام لما قام من نقطة مملكته الى اوربا انتشر خبر قيامه فى سائر المسكونة شرقاً وغرباً وصار يجيئنا كل وقت اخبار حركاته وسكناته من اقاماته وتنقلاته ولما تحركت ارادته بقدومه الى قطر مصر طارت الصحف تذكر قدومه اى ذكر واستعد الجناب الخديو السامي لاستقباله واتم سراياه العظمى العامرة لانزاله ولما حضر اخذت العامة قبل الخاصة تحفظ جميع احواله حتى انى كنت غائباً مدة إقامته فى القاهرة فلما حضرت صار كل انسان يحدثنى عن صفته حتى ملبوسه ووقوفه وجلوسه لا يغاير احد الآخر فى الرواية حتى صرت كانى بجانب هذا الملك انظر اليه . ومجيئه ليس بحادثة تذكر ولا هى بعجيبة تؤثر تلكم الحادثة التى يفتخر بها التاريخ ويزهو بها

فلك عطارد على فلك المريخ فتتسابق كتاب الانباء لضبطها وتتسارع اقلام الخطى الى خطها حادثة واى حادثة خليفة اعظم مثل هذا الخليفة الانخم تخضع لديه ملوك عصره خوفاً وجبراً وتدفع اليه الجزية عن امره قسراً وقهراً وترتج لحركته بقاع الارض براً وبحراً وتتيه بحلوله قصور الملوك عزاً وفخراً يقوم من دار خلافته بوزراء معيته وعلماء رعيته ويجيء الى هـذه الديار المصرية [١] التى هى ولاية صغيرة من جملة ولاياته الاسلامية ويجرى بها مسئلة خطيرة مثل هذه المسئلة الجسيمة لم يسبقه اليها احد من الملوك المتقدمين قبله ولا قدر احد من آبائه الخلفاء ان يفعل مثله تعرض لفتح هذا البناء المتين الجسيم بعد التصميم على هدمه بعزم قوى قويم وكان لديه من علماء العراق الذين بمعيته وعلماء الشام الذين جاؤا للتشرف برؤية طلعته وعلماء مصر المقيمين على خدمته ولم تقم علماء الاقطار الثلاثة بضبط جميع شؤنه من حركته وسكونه وقيامه وقعوده

---

(١) سنة ٢١٦ هجرية وعاد منها بعد فتح الاهرام وتحقيق خبره سنة ٢١٧ (عن تاريخ ابن الوردى)

وركوعه وسجوده وشربه وطعامه ويقظته ومنامه وتمد حروف
كلامه فى ملامه وسلامه فكيف يتصور جاهل فضلاً عن
فاضل ان يرى العلماء هذا العمل الهائل وعناية هذا الخليفة
الاعظم به فى صرف هذا المال الطائل ولا يعتنون بضبط الحادثة
ضبطاً شافياً ويتركونها للعامة تلعب بروايتها بحسب عقولهم ان
ذلك لمن عكس القضايا البديهية والاعجب ادعاء ان الرواة عكسوا
الحقيقة وما سمعنا عن رواية من الثابت ضعفه بل الثابت كذبه
انهم يقولون انها مقلوبة الحقيقة نعم يقال انها مختلفة اذا لم يكن
لها ثبوت اصلاً او فيها حشو او زيادة او نقص او مبالغة او
تحريف واما قلب قصة تاريخية بعد الطوفان الى قبل الطوفان
لو انها كلمة من القصة بحيث ان كلا من الطبقتين ترجم القصة
بعينها والراوى الاول لما روى ترجمة الطبقة الاولى المنبئة بان
فلان الملك قد بنى هذا الاهرام بعد الطوفان جاء لطول القصة
وعدم ضبطه وقلب كلمة بعد الى قبل لقبل هذا القلب نوع قبول
وهذه قصة تاريخية طويلة متعلقة بملك معين قد ذكر منها اسمه
اسم ابيه وجده الذين كانوا ملوكاً من قبله قبل الطوفان قطعاً

باتفاق المؤرخين جمعاً وقد بينت سبب بناء الاهرام بالتفصيل
من رؤيا تكررت وجمعت لها كهنة القطر وقاموا واخذوا
يرصدون الكواكب ويحسبون الطوالع وتبين لهم ان سيقع
طوفان يخرب البلاد ويهلك العباد وامر وقوع الطوفان قد
حصل بعد قطعاً وانبأنا به الحق تعالى فى كتابه العزيز الذى لا
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
ورواية الطبقة الثانية من ملك آخر كان بعد الطوفان بين فيها
اسمه فيبعد كل البعد قلب هذه القصة بتمامها المتعلقة بالملك
الثانى البانى للاهرام بعد الطوفان الى القصة الاولى الطويلة
التى فصلت وبينت سبب البناء وكيفيته لا يتصور ذلك عاقل
فضلاً عن فاضل ولو كان هذا الراوى اجهل جاهل والاقرب
من ادّعاء قلب حقيقة الرواية المروية عن الطبقة الاولى ادعاء
افتراء الرواية الاولى المأمونية وانكار الحادثة من اصلها التى
حضرها ورواها علماء الثلاثة اقاليم العراق ومصر والشام والقطع
بما اخبر به الفاضل شمبليون المعصوم عن الخطأ والغفلة
والاختلاق كما هى عقيدة كافة المتفرنجين من المصريين واما

سائر عقلاء المسكونة فيجزمون بان خبر الواحد محتمل للصدق والكذب وان الكذب مستحيل على جم غفير بيد انى اقول ان انكار المحسوس لا يصدر قطعاً الا من رجل ممسوس وكلامنا مع اناس عقلاء واذكياء نبلاء يعلمون ان سهو شمبليون هو اقرب ما يكون فمن ذا الذي ينكر حادثة مجيء الخليفة المأمون وما اجراه من العمل فى فتح الهرم فى مشهد الوف مؤلفة من ثلاثة اقاليم ما بين خواص وعوام من امراء كرام وعلماء فخام ورؤساء روحانيين كبار وعرفاء واحبار قدشهد جميعهم فتح الهرم وراوون انه وسيلة لعلم ما فيه وطريق الى معرفة بانيه ويروون الوسيلة بالتواتر ويتركون المقصود هـذا وهماً فاسداً عند سائر العـقلاء مردوداً وبخلاصة هـذ الرد ينتفي الوجه الثانى الذى هو موضوعه عدم اهمية الخليفة بالترجمة فكان مسبباً للتساهل فيها فلم يجيبوا بها على وجهها ولكن نبين لكم تفصيلا رد هذا الوجه وان كانت خلاصة رد الاول كافية وافية فنقول : هذا الخليفة العباسي المأمون لم يماثله خليفة من العباسيين السابقين واللاحقين فى تعشقه لكافة الفنون حتى فاق فيها علماء وقته

ويدلكم على ذلك انه اول من نقل العلوم الفلسفية من اليونان وادخلها الديار الاسلامية وترجمها من اللغة اليونانيـة الى اللغة العربية ولما رأى طنطنة المؤرخين بذكر هذه الاهرام وشدة العناية بها من العلماء الاعلام وتنافس الشـعراء فيها بفصيح الاشعار وتفاخر المصريين بها على سائر الاقطار نزل من عرش خلافته وعدل عن فرش راحته ممتطياً مطايا اخطار الاسفار فى قطع الفيافى والقفار ومافيها من الاوعار بين جبال شامخة وصخور راسخة حتى اتى الى هـذا القطر بعد معاناة كل عسر فهرعت اليه علماؤه وامراؤه من كل مكان وسارعت لاستقباله بطارقته وقسسه واحباره حتى الرهبان واسامعت بقـدومه اهل الشام فاقبل لمقابلة علمائه الاعلام وكذا بطارقته وقسسه الروحانيين واتابعت زمر الناس الى مصر من كل حـدب ينسلون وقام الخليفة الى الاهرام يتبعه الخاص والعام من جميع اجناس هؤلاء الناس فاستشار العلماء منهم والبطارقة والقسس على هدم الهرم الكبير ليعلم ما فيه ويستدل منه على اخيه فنصحوه بأن لا يفعل خشية خيبة الامل حيث انبأوه بأن لم يكن لاحد من

الملوك السابقين طاقة على هذا العمل فضم اذنه حب الحصول
على استكشاف كل مجهول وخاف ان يرجع بخفى حنين ويطير
ذكر ذلك فى الخافقين فجمع الالوف المؤلفة من العمال وفتحت
لديه خزائن الاموال وتكلف فوق الطاقة حتى فتحت له هذه
الطاقة ودخل الخليفة الهرم بمن معه من هذه الامم فوجدوا
الحوض المرصود وعلى غطائه نقش الخط المقصود وطلب الخليفة
ترجمته فى الحين من هؤلاء البطارقة والقسس العارفين وكان
لديه من قسس القطرين الشام ومصر ما لا يفى بعدهم لسان
ولا يحويه فكر لكثرتهم فى هذا العصر كثرة هائلة تفوق
الحصر وبالخصوص قسوس هذا القطر اذ لم يكن من نزلاء
المسلمين ما يوازى عشر عشر العشر فلو توجهوا بقلوبهم
متضرعين الى ربهم ان يحيي لهم ارباب هذه اللغة لاستجاب
لهم واحياهم من غير مبالغة وتلقوها من شفاههم وتحققوها
من افواههم وهؤلاء وقوف خاضعون بين يديه يتمنون اقل
خدمة له يتقربون بها اليه وقد شاهدوا بذل كل مجهود حتى
توصل بها الخليفة الى هذا المقصود وعنده يتساهلون كما ادعت

انصار شمبليون اما يخشون من وفور كثرتهم وفيهم اجانب
من اهل صنعتهم والخليفة اعلم الناس بطرق الاستوثاق
باستكشاف الاشياء المجهولة خصوصاً اللغات فلا بد ان يطلب
اعادة الترجمة وأعمال الفكر فى الكشف عن كنهها وتفصيل
ما ينبئ به وضعها من جماعة اثر جماعة اذ لا يمكن لعدد مثل
ذلك خارج عن حد الكثرة ان يجتمع جميعهم معاً فى آن واحد
يترجمون مرة واحدة لا يتصور ذلك عاقل لانه لو فرض ان
المكان يسعهم لكن النقطة التى تحاذى اللوح الذى فيه الخطوط
غاية ما تسع مع ازدحام الاقدام مائة نفس فلا بد من التعاقب
طائفة اثر اخرى حتى يستوثق الخليفة ويقطع بما ترجموه فكيف
يكون اجتهاد كل طائفة مخافة ان تظهر عليها التى تترجم بعدها
ادنى تحريف وتدليس ومن المعلوم بالضرورة حتى عند العوام
ان التدليس على الملوك من اعظم الجرائم وان عقابه صارم
فكيف يتصور ادنى سائل او يتقدم للترجمة جاهل فى هذا
الملأ الجسيم والموقف العظيم الهائل انما هذا أقرب ما يكون
فيما اجتهد فيه شمبليون ومن هو شمبليون — شمبليون رجل

غربى من افراد الناس جاء سائحاً الى مصر فعل ما يفعله اى
سائح غربى من التفرج على الآثار القديمة فيمكن انه دخل
مدفنا من المدافن القديمة التى بين الجيزة وصقارة ووجد نقوشاً
على جدرانات ذلك القبر يقال ان بعضها قريب من الخطوط
اليونانية المعروفة وتحت بعض تلك النقوش المجهولة خطوط
يونانية معروفة فقال بوهمه ان هذه الخطوط المعروفة يمكن ان
تكون موضوعة ترجمة لتلك المجهولة فقام كما قال بنفسه يسأل
ذا خبرة عن صدق حدسه فقصد بيت قسيس من القسس
او عريف فوقف بالباب يطلب الاذن بالدخول على جناب
ذلك القسيس فاذن له بالدخول عليه وتشرف بالمثول لديه
وسأل بكل خشوع مع غاية الخضوع قائلاً اعرض على شريف
مسامع قداسة جناب القسيس انى رأيت بالآثار القديمة التى
بالجيزة او بغيرها خطوطاً قديمة مجهولة تحتها خطوط يونانية
معلومة فقام بفكرى ان المعلومة وضعت ترجمة للمجهولة هذا
ان وجد من جناب القسيس نوع التفات وكان جنابه فارغاً
من اشغاله الخصوصية حتى ان شمبليون يقدر ان يفى بهذا

السؤال بتمامه فاذا زاد جناب القسيس فى التفضل عليه طأطأ رأسه الشريفة مشيراً الى صدق ماقام بفكره واذا تغافل جنابه عن عز الهيبة القسيسية وتنزل عن عرش العظمة القديسية فاصحب تلك الطأطأة بقوله بلى ترجمة للمجهولة لحرج من عنده شمپليون جازماً بأنه الامبراطور نابليون وربما ادهشته مهابة جناب القسيس فلم يدر هل اجابه بلفظة (بلى) التى لايجاب جواب الاستفهام او (بلا) التى للسلب لان ابهة جلالة القسيس عندعامة الامة المسيحية اعظم من ابهة جلالة الامبراطور الذى بيده الاحكام السياسية كما ان حقارة الامراء المصريين لعلماء الدين دون حقارة رجل جريجى او يونانى يبيع الخل والسردين ثم اى مال لدى شمپليون الذى يتمكن به ان يستميل قلوب القسس ويستفرغهم اليه للبحث وشدة الفحص عن كنه حقيقة المسئلة ان شمپليون ماقام لها بنفسه الا بمساعدة ابناء جنسه بقليل من المال الذى اعدوه لمساعدة من يريد القيام بمشروع جديد تكون فائدته عائدة على الوطن جميعه فيعينوه فى بدء الامر بقدر الضرورى الذي يسد به رمقه ويقيم

به اوده فان تم مشروعه كان غاية ثروته وان خاب امله وضاع
عمله كانت نهاية حسرته فما يكون اقتدار شمبليون فى جانب
اقتدار الخليفة المامون هل تقدرون ايها الهيروجليفيون تدعون
ان لشمبليون طاقة كطاقة المأمون تبلغ الامل فى اتمام كل عمل
فلقد بان بواضح البرهان القطع بما اجراه الخليفة المامون .
والتصاق الوجهين السابقين بشمبليون وهما الطعن فى النقل
بعدم الضبط والثانى تساهل القسس معه فى الفحص وعدم
البحث هذا ان صدقنا ان شمبليون توجه الى القسس حقيقة
وسألهم عما بدا له فيكون سؤاله لهم بالصفة التى بيناها على سبيل
البساطة فقط فاذن وجب عكس النتيجة والحكم ببطلان ما
جاء به شمبليون من ان بناء هذين الهرمين كان بعد الطوفان
ورجحان ما جاء به الخليفة المامون من ان بناءهما كان قبل
الطوفان وانما حكمنا برجحان بنائهما قبل الطوفان ولم نقطع به
كالقطع بما اجراه المأمون من العمل المهول الذى كان سبب
الوصول لكشف هذا التاريخ المجهول لان القطع بمعرفة كتابة
لا يقتضى القطع بمنطوق تلك الكتابة مثلاً لو ان انساناً عربياً

دخل قصراً قديماً لم يعرف بانيه ورأى منقوشاً فى داخله بالخط العربى المبين (انافلان السلطان البانى لهذا القصر) فانه لم تفد انه هو البانى له على سبيل القطع ولو ثبت أيضاً بطريق القطع ان هذا الخط هو خط هذا السلطان بيمينه لا يمكننا ان نقطع بانه هو البانى له دون غيره لاننا لم نره ولم نشاهده وقت بنائه له ولم ينقل ذلك لنا بالتواتر عمن شاهدوه بل غاية ما يفيدوه انما هو الظن الا ان كان ذلك الواحد هو الرسول المرسل من عند الله لانه مؤيد بالمعجزة كما سبق ثم ان حكمنا ايضاً برجحان بنائهما قبل الطوفان ما هو فقط لاجل القطع بصحة ماترجم لدى الخليفة المأمون بل بضميمة امر آخر خارج عن الترجمة يؤيد مفادها ، وهو انه لاريب فى ان هؤلاء الملوك ما بنوا هذه المبانى المتينة الجسيمة والآثار البديعة العجيبة العظيمة وصرفوا عليها نفيس الاموال المعادلة لنفيس النفوس الا لاستمرار الافتخار بتلك الآثار على من بعدهم من الملوك الذين يملكون هذه الاقطار واستمرار هذا الافتخار لا يكون الا بنقش كتابة دالة على اسمائهم باقية ما بقيت تلك الآثار وهم

يعلمون بالمشاهدة تغير اللغة الطبيعية بمخالطة الاجانب المباينين لهم فى اللغة فصار من الواجب الطبيعي عليهم المقدس عن الواجب الدينى عندهم كمال الحرص والمحافظة على تدوين لغتهم الاصليـة فى كتب يفسرونها باللغة المتداولة بين العامة التى لا يقع عليها شدة التأثير بالتغيير من الاختلاط بالاجانب كما هو الحاصل المشاهد فى اللغة العربية وسائر اللغات المشهورة وتكون متوارثة متواترة بين خواص الامة وعلمائها وعلى الخصوص ذرارى هؤلاء الملوك المشيدين لتلك الآثار لان افتخارهم بها أشد من افتخار اجدادهم المشيدين لها كما هو مشاهد فى الفروع المنحطة فى الهمة عن اصولهم الاماجد وتكون باقية لم تزل كذلك جيلاً بعد جيل ما دام هذا الصنف على وجه الارض بين اصناف البشر وان اتمّ تمـدناً فى الملأ الانسانى واعم تمتعاً بالمجتمع العمرانى هى الامة اليونانية خصوصاً من مبدأ ملك اسكندر المقدونى الامـة التى ظهرت منها اساطين الحـكمة وجهابذة الفلسفة الاولى الامة التى دوخت ملوك المسكونة شرقاً وغرباً فقهرت القياصرة وكسرت الاكاسرة واستولت

على مستعمراتهم الزاهية الزاهرة التى منها قطر مصر بل هو
ازهى من كل قطر وازهر بل ابهى من قمر السماء وابهر قد ضمه
الى ممالكه ملك ملوك الدنيا الملك اسكندر بن فيلبس المقدونى
الذى أخذ لقب جده الاعلا ذى القرنين بن يونان بن يافث
ابن نوح عليه السلام فكان ذو القرنين الثانى الفيلسوف الاكبر
وعلم العلم الانور واعظم فلاسفة عصره بعد استاذه ارسطوطاليس
الذى جلس على كرسى استاذه افلاطون الالهى وتتوج بتاج
الرئاسة على كافة حكماء وقته حتى اخوانه الذين اخذوا معه على
افلاطون وتربع فى دست الصدارة العظمى لتلميذه الفيلسوف
الاكبر هذا الملك الاسكندر وكان لا يرد ولا يصدر الا من
اشارته فكان فى الحقيقة هو الملك وهو اول من وضع التعاليم
المنطقية واستخرجها من محاورات الحكماء ومناظرات القدماء
فاخرجها من القوة الى الفعل وجمعها وهذبها ودونها ورتبها
وسماها بفن المنطق الفن الذى يصون الذهن عن الخطأ الفن
الذى لم تلق الافرنج والمتفرنجون اليه بالاً حتى يعرفون الخطأ
من الصواب الفن الذى يكاد ان يكون هو الاستاذ الاعظم

والاب الروحي الاكرم الباقى على ممر الازمان ، به يعلم الناس
كيف يكون معاشهم ومعادهم الفن الذى هو اساس معرفة
خالق الخلق ورب العرش الفن الذى هو شمس سماء كل فكر
ولذا لقب اليونانيون ارسطوطاليس باله الفلسفة ولقبه
الاسلاميون بالمعلم الاول وهذا قطر مصر جليل الذكر الذى
كان له القهر على ملوك كل عصر وقد استوى على عرشه
هذا الفيلسوف الاكبر الملك اسكندر العارف بمقادير الاشياء
جليلها وحقيرها ولا يجعل نصب عينيه واول شيء واجب عليه
بذل الجهد فى البحث عن كشف اسرار تلك الآثار من الكتب
التي دونت عن اربابها الذين شيدوها للافتخار بها وهو قريب
عهد باربابها فاسهل شيء عليه ترجمتها باللغة اليونانية بل بكل لغة
ليفتخر هو بذلك كمال الافتخار عن افتخار المشيدين لتلك الآثار
بانه ملك اقطار ارباب هذه الآثار وكان يبذل غاية الجهد ايضاً
فى تخليد استمرار هذه الاخبار اشد من تخليد تراجم الفلاسفة
المتقدمين عليه بقرون متطاولة واعصار مثل ثاليس وانكساغورس
وسائر الاساطين الاقدمين الذين لم يزل ذكرهم فى كل وقت

وحين الى يوم الدين ولم يؤثر عن هذا الفيلسوف الاكبر الملك
اسكندر كتاب قد دون فيه تاريخ بناء هذين الهرمين العظيمين
وسائر الاهرام الموجودة بالقطر المصرى ولا يتصور ادنى
عاقل فضلاً عن فاضل ان هذا الفيلسوف يهمل امراً هو اول
واجب عليه يفتخر به على ملوك المسكونة من بعده وعلى
الاخص فان الملوك طراً هم اشد الناس شغفاً وطرباً بمعرفة
احوال الدول وما كانت عليه ملوك الاعصر الاول ولا يقال
ان الحروب قد شغلته عن ذلك لان وفرة وجود الفلاسفة
بغاية الكثرة فى عصره واقتراب اللغة اليونانية على زعم
الهيروجليفيين من اللغة القديمة يسهل عليه وضع كتاب مفصل
فيه تاريخ هذه الآثار العظيمة مفسر فيه حقائق احوال ملوك
مصر القديمة بأدنى اشارة منه الى فلاسفته الفخام وجهابذة
حكماء عصره العظام فى الاهتمام باتمام هذا الواجب فوق المرام
فبطل ادعاء ان اللغة اليونانية كانت هى الطريقة الوحيدة
لاستكشاف شمبليون للهيروجليفية لاقترابها منها لانها هى اللغة
الطبيعية لاسكندر وفلاسفته فهم اعلم من كثير من المتأخرين لقرب

زمن اسكندر من ارباب اللغة الاصلية قبل تغييرها كما سبق تقريره فوجب اذن ان نقطع بان هذا الملك ومن معه من اجلاء الفلاسفة وفضلاء الحكماء الجهابذة قد عميت عليهم انباء بناء هذين الهرمين العظيمين وهذا يرجح ان بناءهما كان قبل الطوفان الذى محى اخبار آثار القرون الاولى فلم يحم احد من كافة المؤرخين حول حماها سوى ما أنبأت به الكتب السماوية المقدسة كالتوراة الفخيمة والقرآن المجيد مقتصراً فيهما على انباء الانبياء وعلى ما له علاقة باحوال الديانة الغراء من قصة خلق آدم وقصة ادريس عليهما السلام وكذا قصة قتل قابيل لهابيل(١) وذلك لان الحكمة انما هى الارشاد لما فيه صلاح العباد فى المعاش والمعاد فلا يتعرضان لما لا علاقة له بالاديان من اخبار القرون الماضية قبل الطوفان الخالية عن الشرائع الالهية فبقيت اخبار تلك القرون فى زوايا الخفايا ولذلك لما كان فرعون موسى من اعظم ملوك الدنيا علوًّا وعتوًّا فهو اشدهم

---

(١) وقد ولد لآدم بعد قتل هابيل شيث تفسيره (هبة الله) واليه تنتهى أنساب بني آدم (ابن الوردى)

شغفاً بمعرفة الاعصر الاول وما كان فيها من احوال ملوك
الدول كان اول مقترح ابتدر به سيدنا موسى ان ابلاغه ماجاء
به من عند ربه انما هو السؤال عن الامم الماضية قبل الطوفان
كما حكاه الله جلّ علاه عن فرعون فى قوله تعالى « قال فما بال
القرون الاولى »(١) وكان جواب سيدنا موسى عليه السلام
الاحاطة العلمية الربانية اذ قال « علمها عند ربى فى كتاب لا
يضل ربى ولا ينسى »(٢) ولو ان الله تبارك وتعالى بينها وفصلها
لموسى عليه السلام واخذ يفصلها لفرعون قرناً قرناً وما اجراه
كل ملك فيه قولاً وفعلاً لضاع الوقت سدًى وفات المقصود
من البعثة ولربما ان فرعون من عتوه كان يدعى بعد ذا انه كان
عارفاً بها على هذا النمط كما يشاهد من كثير من المتكبرين
فبقاؤه على جمر الجهل بها والحسرة على عدم علمها انسب بحاله
ففى هذا الجواب اشارات لفرعون بديعة منها انى لست
بقصاص اخبار اقوام مضت قبل الطوفان لا تعلق لها بالاديان

---

(١) سورة طه (٢) سورة طه

وانما انا رسول من رب العالمين جئت اليك بطلب التوحيد ورفض ما انت عليه من الكفر والضلال البعيد فاتزر بأزار العجز وتسربل بسربال العبودية بعدخلع رداء دعوى الربوبية اى ما شأنها الاحاطة الكلية بجميع المعلومات التى من جملتها احوال القرون الاولى يعنى الماضية قبل الطوفان بدليل وضعها بالاولى كما لا يخفى وهى التى جعلت فرعون فى حسرة من الجهل بها لعدم وصول احد من المؤرخين الى علمها بخلاف القرون الاخرى التى من الطوفان الى انتهاء الزمان فانها معلومة للمؤرخين فى الجملة ولذلك لما اقترحت الامة اليهودية على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان يذكر لهم من بناء ذى القرنين ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام كما روى ذلك عن الامامين امير المؤمنين الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه والامام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بينه الله تعالى لنبيه فقال قل يا محمد لهم سأتلو عليكم منه ذكراً الآيات ، لان سؤالهم انما هو فقط استكشاف صدق دعوى النبوة لاجل المبادرة الى اتباع شريعته فانهم يعلمون انه عليه الصلاة والسلام امى ما خط بقلم

قط ولا يصل الى علم هذه القصة بالتفصيل الامن قرأ التوراة المقدسة او طالع الكتب التاريخية القديمة وهى غير متداولة بين العرب فى ذلك العهد فكان لبيان قصة ذى القرنين فى القرآن شاهد عظيم من جهة صدق رسالته صلى الله عليه وسلم اذكانت من جملة الاسباب لاتباع اعظم احبار اليهود لشريعته عليه السلام كسيدنا عبد الله بن سلام وكان اختلاف الجوابين فى الآيتين الجواب الاول الموسوي لفرعون والجواب الثانى المحمدى لليهود اكبر اشارة الى ان السؤال الاول لما كان عن الامم الماضية قبل الطوفان لمجرد شغف فرعون بعلمها لالان يؤمن بموسى من اجلها كان الجواب متضمناً بناء السؤال على الخفاء زيادة حسرة ونكال لفرعون حتى يتنازل عن دعوى الربوبية ولما كان السؤال الثانى عمن جاء بعد الطوفان لغرض دخول السائل فى الايمان كان الجواب بغاية التفصيل والبيان لان الطوفان هو الذى قد جعل مبدأ تاريخ العمران لبنى الانسان ولذا قال الامام المحقق بن عبد الحكم ولا احسب الا ان هذه الاهرام بنيت قبل الطوفان لانهالو بنيت بعدالطوفان

لكان علمها عند الناس انتهى يعنى ان الناس اجمعوا على ان جميع
الاشياء الجسيمة التى حدثت بعد الطوفان لا بد وان يكون
علمها عند الناس قطعاً وهذه الاهرام من اعظم الاشياء الجسيمة
فانتفاء علم الناس بها يقتضى انها لم تحدث بعد الطوفان وانما
حدثت قبله فان قلت اذا كانت القرون الاولى التى قبل الطوفان
ليس عند الناس علم بها الى الآن لكون الطوفان درس آثارها
ومحى اخبارها فمن اين لعلمائكم المؤرخين ترجمة الملوك الذين
ملكوا مصر قبل الطوفان وذكر الحوادث التى حدثت منهم
فى تلك القرون الاولى قلت قد جاءهم ذلك من الكتب القديمة
المقدسة السماوية التى من اقدمها التوراة الجليلة ومع ذلك لم
يقطعوا بشىء مما كان فى القرون الاولى الا بما جاء نصاً فيها
وفى القرآن كقصة سيدنا آدم عليه السلام وقصة قتل قابيل
لهابيل وقصة سيدنا شيث وادريس عليهما السلام وما سوى
ذلك فليس عند الناس علم به قطعاً بل كل ما جاؤا به فيه فهو
من باب الظن فما دونه واستمدادهم فيه من شراح الاخبار الاول
التى وضعوها على التوراة نقلاً عن انبياء بنى اسرائيل كما يقولون

ولذا ورد فى شريعتنا الغراء الامساك عما ينقل عن الاسرائيليات
فلقد نهينا عن تصديقه وتكذيبه الا ما خالف العقل والنقل
الحق فمن أتى من العلماء بشيء من تلك الاسرائيليات فانما يأتى
به على سبيل الظن والشك لا على سبيل العلم والجزم ونحن انما
ننفى عن القرون الاولى العلم فقط الذى هو الادراك الجازم
المطابق للواقع عن دليل قطعي كما سبق بيانه غير مرة فان قلت
ان فى الاقوال السابقة التي نقلتها لنا عن العلماء لتأييد كون هذه
الاهرام بنيت قبل الطوفان القول المنقول عن شيوخ مصر
وهو مصرح بان اللغة اليونانية كانت هى الطريقة لحل جملة
بناء هذين الهرمين والنسر الواقع فى السرطان وهو اكبر شاهد
لاثبات دعوى شمبليون فى ان استكشاف اللغة الهيروجليفية
انما كان بواسطة اللغة اليونانية وهو مقتضى لتقارب اللغتين
طبعاً وعدم وجود تاريخ بنائها عن الملك اسكندر لا يقتضى
مباينة اللغتين لان المقرر فى المطالب الحكمية ان عدم الدليل
يقتضى عدم المدلول بل وجود الدليل هو المقتضى وجود
المدلول ثم من المحتمل ان اسكندر وضع كتاباً فى ذلك الموضوع

وقد تناولته ايدى الضياع بواسطة كثرة الحروب وتنقلات
الممالك فى ايدى الامم المختلفة وحيث ثبت تقارب اللغة اليونانية
من اللغة البربائية ثبت انها الواسطة العظمى لحلها ومعرفتها
وثبت ان بناء هـذه الاهرام انما كان بعد الطوفان لان اللغة
اليونانية انما حدثت بعد الطوفان اذ هى اللغة التي اختصها الله
بيونان بن يافث بن نوح عليه السلام وهو ابو اليونانيين كما
اختص اللغة المصرية القديمة بمصرايم بن عم يونان ابو المصريين
كما اختص اللغة العبرانيـة باسحاق عليه السلام ابو العبرانيين
واختص اللغة العربية الفصحى باسماعيل عليه السلام ابو العرب
المستعربة الفصحاء قلت اماهذا القول المنقول عن شيوخ مصر
المقتضى تقارب اللغة اليونانية من اللغة القديمة البربائية التى
كانت الواسطة لمعرفتها كما زعمتم فهو قول غير مرجح لانه لم
يستند لحادثة مشهورة متواترة كحادثة المأمون وانما جئنا به
فقط زيادة تعضيد للاقوال المتواطئة على ان بناء الهرمين
الكبيرين كان قبل الطوفان ولاجل ان ابنى عليه بيان بطلان
دعوى بعض العلماء بان عمر الدنيا من آدم عليه السلام الى

يوم القيامة سبعة آلاف سنة ثم لو سلم رجحان هذا القول المنبئ بأن بناء هذين الهرمين كان قبل الطوفان بمدد متطاولة من الازمان لكان مناقضاً لدعواكم انها بنيت بعده على خط مستقيم . هذا القول دليل على تقارب اللغة اليونانية من البربائية غير مستقيم ولو سلم جدلاً مقاربة اللغة اليونانية لقلنا لعلها اللغة الاصلية التى نطق بها يونان بن يافث ولما تقادم الزمن واختلطت اصناف العالم ببعضها ولم تدون لها كتب تحفظها تغيرت تغيراً كلياً فما جاء زمن الملك الاسكندر الا وقد تنوسيت تلك اللغة كما تنوسيت لغة جرهم [١] الاولى فكانت لغة قريش وسائر قبائل عصرهم الذى نزل القرآن فيه بلغتهم مباينة كل التباين للغة جرهم ومن عاصرهم مع تسمية لغات اولاد يعرب بن قحطان ومن بعدهم باللغة العربية ومن

---

(١) هم صنفان (جرهم الاولى) فى عهد عاد فبادوا ودرسوا كما درست لغتهم (وجرهم الثانية) من ولد جرهم بن قحطان وجرهم اخو يعرب بن قحطان ، وجرهم الثانية هم الذين اتصل بهم اسماعيل ابو العرب المستعرب بة وتزوج منهم (وسميت لغتهم باللغة العربية)

ذلك كان عجز الملك الاسكندر ومن معه من الفلاسفة عن
حل اللغة القديمة باللغة اليونانية وانما عرفها قسس المأمون من
بعض الكتب المقدسة التى بعد اسكندر كما هو مصرح به فى
الاقوال السابقة وهل يمكن للهيروجليفيين ان يدعوا بان قسس
هذا العصر الذى ظهر فيه شمبليون مثل قسس عصر الخليفة
المأمون وان معرفة هذا العصر باللغات الشهيرة الآن مثل
اليونانية او المصرية او اللاتينية لمعرفة قسس المأمون بها وبين
العصرين أحد عشر قرناً كيف وهذه الخطوط العربيـة قد
تغيرت وتبدلت مراراً فى أثناء تلك الازمان وانتهت فى صدر
الاسلام على القاعـدة الكوفية الموجودة الى الآن نقشاً على
جدرانات المساجد القديمـة حتى جاء ابن مقلة الشهير ورسم
الحروف الهجائيـة بالرسم المشهور الى الآن وما زال من
حسن الى احسن حتى صار الآن احسن وأتقن ولو جئت
بكل صنف تكتب افراده بهذه الحروف المسماة بحروف
اللغة العربية لان يحل حرفاً واحداً من القاعدة الكوفية لما

استطاع له حلاً فما بالك باللغات الاجنبية وعلى الخصوص اليونانية وفي هذا القدر ذكرى لقوم يعقلون

تمت بعون الله وعونه



